الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة وآدابها

شعبة: الحضارة العربية الإسلامية

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ:

الطب في الحضارة العربية الإسلامية
أبو بكر الرازي أنموذجا

إعداد الطالبتين:

* مريم بن مصطفى
* سليمة لعناري

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

* سنابسي رابح

2013
Fac/LIT 02098

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

PAS_953_49/01

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تشكر

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

لا يسعنا وقد أنهينا بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه إلا أن نتقدم:

بالشكر العظيم لله الواحد الأحد والحمد الكثير في تسديد خطايانا إلى هذا المستوى البسيط من العلم فسبحانه الذي وهبنا الصبر والإرادة وزرع في قلوبنا بذرة الأمل لإتمام هذا العمل.

ثم شكرا جزيلا لأستاذنا المشرف صاحب الفضل الثاني في هذا الإنجاز والذي كان بمثابة إنارة لبعض الصعوبات التي واجهتنا، الأستاذ الدكتور "سنايسي رابح."

فشكرا لك أستاذنا الفاضل على صبرك معنا وكرمك وجزاك الله خيرا وزادك معرفة وعلما إنشاء الله.

كما لا ننسى أن نوجه الشكر الكبير والتقدير إلى الأستاذ المناقش وكل اللجنة وجميع أساتذة كلية اللغة والأدب العربي.

فشكرا لكم جميعا.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونصلي ونسلم على خيرته من خلقه محمد المبعوث ورحمة للعالمين وعلى أله الطيبين وصحابته أجمعين ومن اهتدى يهديهم إلى يوم الدين .

يعد علم الطب من أعظم انجازات الحضارة العربية الإسلامية التي كان للعلماء المسلمين فيها إسهامات بارزة على مدار عصور حضارتهم الزاهرة وكانت تلك الإسهامات على نحو غير مسبوق شمولا وتميزا وتصحيحا للمسار حتى يخيل لنا أنه لم يكن طب قبل حضارة المسلمين .

والإشكاليات المطروحة التي نحن بصدد الإجابة عنها في مذكرتنا هذه هي:

-كيف كان الطب في الحضارات القديمة ؟ وما هي أساليب العلاج التي كانت متبعة؟ وما هي التطورات التي طرأت عليه في عصور الحضارة العربية الإسلامية ؟ و ما هي إسهامات الرازي بالخصوص في مجال الطب ؟ لأنه موضوع بحثنا .

كل هذه التساؤلات تعتبر حجر الأساس بالنسبة لبنائنا ،حيث انطلقنا منها في عملنا هذا .

إذ أن من الأسباب التي دفعت بنا إلى اختيار هذا الموضوع والسير في منحاه والغوص في بحره هو التعرف على منجزات الحضارة الإسلامية ،وما صاحبها من تطور وإبداع عن طريق علمائها الذين شهد لهم بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء ، وخصصنا دراستنا حول الطب لنتعرف على آليات التداوي والمهارات التي كان يمارسها العرب للعلاج من الأمراض، ورغبتنا الشديدة لدراسة الطب في الحضارة العربية الإسلامية دون غيره لتأثير هذا العلم وعلمائه و أبو بكر الرازي أحد الأعلام الذي يشهد لهم التاريخ بالفضل حتى يومنا هذا ، إذ يعد من أعظم علماء المسلمين في الطب من ناحية الأصالة في البحث والخصوبة في التأليف ،أما المنهج الذي اتبعناه في بحثنا فهو المنهج التاريخي تارة وذلك عند وقوفنا على تطور الطب عبر العصور ، وتارة أخرى المنهج الوصفي لأننا بصدد دراسة وصفية للطب في ظواهره وحالاته .

ويتأسس موضوع بحثنا على مدخل وفصلين وأخيرا خاتمة.

فا لمدخل يتضمن البحث في مفهوم الطب وبداياته إذ حملناه عنوانا حول الطب وينقسم بدوره إلى مبحثين تطرقنا في المبحث الأول إلى مفهوم الطب لغة و اصطلاحا وكذا مفهومه عند أهم العلماء أما الثاني فكان عنوانا للحديث عن بدايات الطب.

أما الفصل الأول فقد جعلنا منه دراسة عامة للطب في الحضارة العربية الإسلامية مفصلين فيها من خلال أربعة مباحث ،حيث يتضمن المبحث الأول الطب في صدر الإسلام ،والثاني خصصناه للطب في العصر الأموي مع ذكر أشهر أطباء عصر بن أمية، و الثالث هو أيضا للطب في العصر العباسي مع ذكر أشهر أطباء بني العباس والرابع هو عبارة عن حوصلة عن أهم مآثر العرب الطبية وابتكاراتهم .

وأما الفصل الثاني فقد حملناه عنوان أبو بكر الرازي نموذجا للطب وهذا ما أوضحناه في المباحث الستة المدروسة في هذا الفصل ،المبحث الأول عبارة عن ترجمة لحياة الرازي ،والثاني يضم الأسس المعرفية التي انطلق منها الرازي ،وأما الثالث فتطرقنا إلى مدرسة الرازي العلمية ،بينما جاء المبحث الرابع بعنوان المنهج التجريبي عند الرازي والخامس جاء بعنوان إنجازات الرازي في الطب وضمنا سادس المباحث وآخرها حديثنا عن عبقرية الرازي الطبية لنختتم البحث كله بما رأيناه استخلاصا للنتائج المتوصل إليها من خلال عملنا المتواضع هذا .

الفصل الأول

حول الطب

المبحث الأول: ماهية الطب

المبحث الثاني: بداية الطب

المبحث الأول: مفهوم الطب

أ/ لغة:

جاء في مقاييس اللغة أن الطّب في اللغة: الطاء والباء أصلان صحيحان أحدهما يدل على "علم بالشيء ومهارة فيه"، والمعنى الآخر يدل على "امتداد الشيء واستطالة" الطّب هو العلم بالشيء، يقال: جل "طَبٌّ وطَبيبٌ"، أي عالم حاذق ويقال فحل طَبٌّ أي ماهر بالقراع، ويقال للذي يتعهد موضع خفه أين يطأ به طِبٌّ أيضا ولذلك سمي السحر طِبًّا، يقال مطبوب، أي مسحور.

والطِّبة هي الخرقة المستطيلة من الثوب، والطبابة هي السير بين الخرزتين والطبة مستطيل من الأرض دقيق كثير النبات.[1]

أما الطّب في قطر المحيط من طَبَّ ويَطِبُّ طَبًّا و طِبًّا وطُبًّا : عالج الجسم والنفس وطَبَّ خرز القر بة غطاها بالطبابة، وفلان ترفق وتأنى للأمور وتلطف، وطُبَّ الرجل على المجهول سُحِر فهو مطبوب، وما كُنتَ طبيبا ولقد طَبِبْتَ وطَبَبْتَ بالكسر والفتح أي صرت طبيبا. طَبَّبَ الرجل تَطَبُّباً : عالج، طابّه على الأمر مَطابَّةً: داواه وعالجه، والطِّبابة هي الطريقة المستطيلة من الأرض والثوب والسحاب والجلد والجمع طِباب والطِّبابة أيضا هي السير يكون في أسفل القرية، والطبيب هو صاحب علم الطّب والعالم به جمعه أطِبة وأطباء، وكل ماهر حاذق بعمله طبيب عند العرب.[2]

ويأخذ الطّب معنى علاج الجسم والنفس في معجم لسان العرب، يقال: رجل طَبٌّ وطبيب، عالم بالطّب والمتَطبِّب هو الذي يتعاطى علم الطب، وقالوا إذا كنت ذا طِب وطُب

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس، بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة 1420هـ ، 1999ج2، ص70.

[2] بطرس البستاني، قطر المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1995، ص341.

وطَب، فطُب لعينك، والطِبُّ هو الرفق والطبيب هو الرفيق والطَب والطبيب هو الحاذق من الرجال الماهر بعلمه، والطبيب في الأصل هو الحاذق بالأمور والعارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى، وكني به ههنا عن القضاء والحكم بين الخصوم، لأن منزلة القضاء من الخصوم بمنزلة الطبيب من إصلاح البدن، الطَب والطُب هو السحر ومنه المطبوب هو المسحور، الطب: الحذق بالأشياء والمهارة بها، الطب: الطو ية والشهوة والإرادة.[1]

وجاء معنى الطِّبُّ في المعجم الوسيط بمعنى الحذق والمهارة نقول طَب فلان طَباً أي مهر وحذق، تطَبَّب فلان بمعنى تعاطى الطب وهو لا يتقنه واستطَبَّ لدائه أي استوصف الطبيب ونحوه في الأدوية أيها أصلح لدائه، والطِّب هو علاج الجسم والنفس، ومنه علم الطب وهو الرفق وحسن الاحتيال والسحر والدأب والعادة ،والطبيب من حرفته الطب أو الطبابة وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم والعالم بالطب والحاذق الماهر والرفيق اللبق وجمعه أطبة وأطباء والطبيبة هي الشقة المستطيلة من الأرض والثوب والسحاب والجلد وجمعها طبائب.[2]

ويعرف الجوهري الطبيب فيقول هو العالم بالطب والمتَطبِب هو الذي يتعاطى علم الطب وكل حاذق طبيب عند العرب والطب هو السحر، نقول رجل طب أي عالم والطبابة هي الجلدة التي تغطى بها الخرز، وهي معترضة كالإصبع مثنية على موضع الخرز وجمعها طباب، والطبابة أيضا هي طريقة من رمل أو سحاب، الطبة هي الشقة المستطيلة من الثوب وجمعها طِبَبٌ، وكذلك طِبَبٌ هي شعاع الشمس وهي الطرائق التي ترى فيها إذا طلعت والتطبيب هو أن تعلق السقاء من عمود البيت ثم تمخضه.[3]

أما بطرس البستاني فيرى أن الطب من طَب يطُبُّ ويطِبُّ طَبا وطُبا وطِبا، بمعنى عالج الجسم والنفس، طب خرز القربة غطاها بالطبابة وفلان ترفق وتأنى للأمور وتلطف، طُبَّ الرجل على

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان ، ط3، سنة 1414هـ-1994م، مجلد1،ص553.
[2] المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا، دط- د ت، ج1، ص549.
[3] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط3، سنة 1429هـ-2008م، ص631.

المجهول أي سحر، فهو مطبوب، طبَّبَ الرجل تطبيبا أي عالج والطبابة هي الطريقة المستطيلة من الأرض والثوب والسحاب والجلد وجمعها طباب والطبابة أيضا بمعنى السير يكون في أسفل القر بة بين الخرزتين وهي معترضة كالإصبع مثنية على موضع الخرز وجمعها طباب.

والطَّبُّ هو الماهر الحاذق بعمله والبعير يتعاهد موضع خفه والفحل الحاذق بالضراب والعالم بالطب والطِّب هو الشهوة والإرادة والشأن والعادة والطِّب هو علاج الجسم والنفس والرفق والسحر، الطبيب هو صاحب علم الطب والعالم به وجمعه أطبة وأطباء وكل ماهر حاذق بعمله طبيب عند العرب.[1]

ومن جملة التعاريف التي أوردناها يتبين لنا أن الطب في مفهومه اللغوي كان يجمع بين **معنى العلم بالشيء ومعنى علاج الجسم والنفس ومعنى السحر.**

وبعد أن عرضنا معنى الطب في اللغة، سنتطرق إليه في الاصطلاح:

ب/ اصطلاحا:

الطِّب هو علم يهتم بصحة الإنسان وعلاجها من الأمراض ولعل ما ورد في موسوعة "مصطلحات جامع العلوم" يؤكد ما ذهبنا إليه ومن ذلك أن الطب: "هو علم يعرف به الصحة وبرء المرض وهو أقدم العلوم وأهمها، لذا قدمه النبي صلى الله عليه وسلم على سائر العلوم، كما روي عنه عليه الصلاة والسلام "العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان" والأحاديث المأثورة في علمه صلى الله عليه وسلم لا تحصى وقد جمع منها دواوين."[2]

والطب هو "العلم الذي لا فرع ولا أصل له، فهو مبني على التجارب إلى يوم القيامة، يعني أن أصله من نفسه، فهو يتجدد بفروعه التجريبية، وهذا لا يمنع من كونه ينقسم إلى عدة أقسام،

---

[1] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط3، سنة 1997، ص543.
[2] عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد بكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم، بيروت، ط1، سنة 1997، ص550.

والموضوع الكلي للطب المبحوث عنه فيه هو بدن الإنسان صحة واعتلالا، ثم تعدد الموضوع كطب العين والأذن والأنف، وكتشريح وتشخيص الأمراض وكل هذا هو عين التجربة التي هي دائما آخذة في التجدد إلى ما شاء الله."[1]

نستشف من التعريف أن التجربة هي أساس الطب وأن بدن الإنسان هو المحور الأساسي للطب من أجله وجد هذا العلم وبه تطور شيئا فشيئا حتى صار إلى ما هو عليه الآن، مع ما يعرف من تعدد اختصاصات الطب مثل طب العيون، طب العظام، طب الأطفال.

والطب هو علم مأخوذ من التجارب ولا يقال فلان طبيبة بالهندسة والحساب كما يقال عالم بالهندسة والحساب.

والطب هو علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة لتحفظ الصحة وتسترد زائلة.[2]

ويرى ابن خلدون أن الطب علم يهتم ببدن الإنسان في الصحة والمرض يقول: "ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في السجية والفضلات والنبض، محاذين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض، وإنما الطبيب يحاذيها ويعنيها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل و السن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب."[3]

---

[1] سميح غنيم، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002، ج1، ص704.
[2] سميح غنيم، موسوعة المصطلحات للإمام فخر الدين الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، سنة 2001، ص422.
[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425سنةهـ، 2004، ص 455.

والطب أيضا كما ورد في موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي المعاصر هو "سائس الأبدان، والمنبه على طبائع الحيوان، وبه يكون حفظ الصحة، ومرمة العلة، والوقوف على المنافع والمضار، والإبانة عن خبايا الأسرار، وعلم يضطر إليه الخاص والعام، ويفتقر إليه الناس والأنعام، ولا يستغني عنه الصغير والكبير، ويحتاج إليه الحقير والخطير."[1]

وابن سينا يعرف الطب فيقول: "الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة. ويضيف ويقول: الطب يبحث في علاج الأمراض والوقاية منها، ومنع حدوثها، والمحافظة على صحة الأبدان وعلاجها إن أحاق بها مرض، علاجا متكاملا جسمانيا ونفسانيا، ويتم علاج الأمراض إما بالغذاء المناسب أو الدواء الملائم بالاثنين."[2]

ومن جملة هذه التعاريف عن الطب نستخلص إلى أن الطب هو علم يهتم بصحة الإنسان، يبحث في أسباب الأمراض وتقديم العلاج المناسب لكل مرض.

[1] سميح غنيم، المصدر السابق، ج2، ص660.
[2] أبو علي الحسين بن علي ابن سينا، القانون في الطب، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، سنة 1999، ج1، ص3.

المبحث الثاني: نشأة الطب

إن نشأة الطب وبداياته تمتد إلى عصور موغلة في القدم، ترجع على الأرجح إلى بداية ظهور الإنسان على وجه الأرض، وذلك عندما حاول هذا الأخير علاج ما أصابه من أمراض، وما تعرض له من إصابات وجروح وكسور.[1]

فنشأة الطب إذن قامت على طقوس وممارسات سحرية تطورت مع تطور الزمن في كل من مصر القديمة واليونان وبلاد النهرين وبلاد فارس والهند وبلاد العرب.

أ- الطب في مصر القديمة:

لقد كان المصريون السباقين في تشييد أول عصور التحضر الإنساني، كما كانوا السباقين في وضع أساس الكثير من العلوم ومنها الطب، وإن أول من تكلم ونظر في الطب في مصر القديمة هو "هرمس" الأول الذي قيل إنه نبي الله إدريس عليه السلام، اما ابتداء الطب الفعلي في مصر القديمة فكان على يد "إمحوتب" وزير الملك "زوسر" وقد بلغ " امحوتب" هذا شأنا عظيما لما أبداه من مهارة في الطب، ومما يدل على ذلك أن المصريين بعد مضي مائتين وخمسين عاما على وفاته قد رفعوه إلى مصاف الآلهة، فرسموه إلها للطب يتقدمون إليه بالقرابين طلبا للشفاء في معابد شيدت باسمه.[2]

وقد أنشأ المصريون القدماء الكثير من مدارس الطب في عواصم الأقاليم لتلقي وتلقين هذا الفن، واختاروا لهذه المدارس أشخاصا من الموثوق بعلمهم وفضلهم ومن ذوي الحنان والرأفة بالضعفاء بالإضافة إلى ذلك أيضا كانوا يحلقون رؤوسهم ويلبسون جلود الفهد على ظهورهم ويتخذون الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يعرفون به أينما وجدوا.

---

[1] عادل طه يونس، رواد العلم الحائزون لجائزة نوبل 1901-2006، في الطب والفيسيولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، سنة 1468هـ الموافق لـ2008م، صفحة 3.

[2] خالد حربي، الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربي، دار الوفاء لد نيا الطباعة والنشر، ط1، سنة 2006، ص17.

وكانت هذه المدارس تابعة للمعابد وتخضع لإشراف رجال الدين، وكان من بينهم مدارس منفيس، وعين شمس وطيبة، إن كانت هذه الأخيرة بمثابة جامعات كبرى لتلقي الفنون الطبية بأنواعها.[1]

وقد كان الأطباء في مصر القديمة يمارسون جميع فروع الطب كطب العيون مثلا: إذ عثر على مخطوطات ورد فيها الأمراض التي كانت تصيب العيون مثل: الرمد الحبيبي والالتهابات الرمدية، وكان للمصريين اعتقاد في تأثير العين وحسدها ولذلك كانوا يخافون شر تأثيرها، فكانوا يعتنون بها ويعالجونها بعقاقير من بلادهم أو يجلبونها من البلاد المجاورة.[2]

وقد ذاعت شهرة قدماء المصريين في طب العيون لدى جميع الممالك وقد ذكر "هيرودوت" أن "سورش" ملك الفرس احتاج في وقت من الأوقات إلى أطباء مهرة لعلاج عينيه، فلم يجد في مملكته ولا فيما يجاورها ممن يثق بهم، فانتدب طبيبا خاصا في مصر، وبعد أن تم له الشفاء على يديه حلفه أن يعلم فنه لأطباء بلاده فأجابه إلى ذلك. بالإضافة إلى أطباء العيون فقد كان يوجد أيضا أطباء الأسنان والأمعاء كما وجدت بردية "بالفيوم"، تحتوي على جزء خاص بأمراض النساء والحمل والولادات.[3]

وقد دوّن أطباء العصر الفرعوني معارفهم الطبية في برديات اكتشف منها سبع برديات تعود أقدمها إلى حوالي عام 1850 ق.م وهي بردية " ا للّاهون" وتعتبر أقدم كتاب طبي في العالم، وقد قام بترجمتها الأستاذ "جريفث" وهي تصف أمراض النساء وعلاجها، وطرق التعرف على جنس الجنين، كما احتوت على جزء خاص يعتبر أول إشارة للطب البيطري حيث اشتملت على وصف لبعض أمراض الحيوانات وعلاجها.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص20.
[2] عادل طه يونس، رواد العلم الحائزون لجائزة نوبل، ص39.
[3] خالد حربي، الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربي، ص21.
[4] عادل طه يونس، رواد العلم الحائزون لجائزة نوبل، ص40.

وتليها بردية "سميث" التي تعود إلى حوالي عام 1650 ق.م، وقد ترجمها الأستاذ "هنري بريستد" وفيها وصف لثمان وأربعين حالة من حالات الجراحة تبدأ بكسر في الجمجمة وتمتد إلى إصابة في العمود الفقري في صورة منسقة، تشتمل كل حالة فيها على وصف وتشخيص واستدلال بالأعراض على العواقب وطرق العلاج. وأشارت هذه البردية للمرة الأولى في التاريخ إلى أن المركز المسيطر على الطرفين السفليين من أطراف الجسم يقع في المخ.[1]

وثالث البرديات وربما أهمها هي بردية "إيبرز" وتعود إلى سنة 1600ق.م وتختص بالأمراض الباطنية من حيث أعراضها وعلاجها والوقاية منها، وبها صفات لإزالة التجاعيد من الوجه، كما أن بها جزءا خاصا بأمراض العيون مثل التهاب القزحية والجفون والدمامل، وبها أول وصف للعلاج بالمراهم وإيقاف النزيف وخياطة الجروح.[2]

كما اهتم المصريون القدماء بمسألة في غاية الأهمية ألا وهي الطب الشرعي وكان ينحصر عندهم في الكشف أولا على الوفيات العامة، أي توقيع الكشف على الموتى بمعرفة أطباء يُعيَّنون لهذه المهمة للتأكد من سبب الوفاة، فإن كانت طبيعية أو بأمراض أو عارضة لحوادث ليس فيها إجرام أمكنهم التصريح بالدفن، وإلا عرضوا الأمر للسيطرة القضائية لتفحص الوقائع وتتخذ نحوها التحريات لحصر الشبهة في من تقع عليه مسؤوليتها ، ولا يقوم بهذه المهمة إلا من تتوفر فيهم سعة الكفاءة والخبرة التامة والأمانة والحرص والعدالة والنزاهة والاستقامة.

أما الطب العلاجي المصري القديم فقد اعتُمِد في جزء كبير منه على العلاج بالنباتات والأعشاب الطبية، حيث أنهم أولوا عناية كبيرة بدراسة النباتات الطبية من حيث وقت زرعها وقطفها.[3]

---

[1] عادل طه يونس، المرجع السابق، ص7.
[2] المرجع نفسه، ص7،
[3] خالد حربي، الأسس الإبستومولوجية لتاريخ الطب العربي، ص 25-26.

ومما سبق ذكره يتبين أن البرديات الطبية المصرية القديمة التي عثر عليها ولاسيما برديتا "سميث وإيبرز" قد أوضحت مدى الشوط الذي قطعه قدماء المصريين في تقدم علم الطب، كما اتضح من كل ما سبق ذكره كيف بلغ قدماء المصريين مركزا مرموقا فيه.

ب/ الطب اليوناني:

ترجع الأبحاث التاريخية بداية الطب اليوناني إلى: "زمن الحكيم " اسقلبيوس" أحد الملوك الأربعة الذين صحبوا هرمس وأخذوا عنهم الحكمة والتنجيم والطب، وهو الذي أمر بأنه يجب أن لا يتعاطى المهنة إلا لمن كان على سيرة رائدها الأول ابقرا في الطهارة والمعرفة والتقى وصدق النية."[1] فجعلوا من إسلقبيوس معبودا، وكانوا يعتقدون فيه أنه هو الذي يعيد الحياة للميت وأنه يشفي المرضى والمقعدين وذوي العاهة، لذلك: "بنوا الهياكل والمعابد تخليدا لاسمه، وأقاموا فيها التماثيل والأنصاب، ثم إن المرضى كانوا يتوافدون بأعداد وفيرة من بلاد اليونان كافة إلى هذه المعابد تيمنا وطلبا للتبرك."[2]

كان الطب الإغريقي مزيجا من الحقيقة والخرافة، فقد روى الشاعر الإغريقي الشهير "بندار" في التواليف الارتجالية الثلاثة كيف أن "اسقلبيوس" برع في العلم حتى أخرج "بلوتو" من عمله بأن جعل الظل يتقلص في منطقة هيديس، ولما عرضت المشكلة أمام زيوس "المشتري" صعق "اسقليبوس" ثم رفعه إلى مرتبة الآلهة في أوليمبوس، ولابد أنها كانت محاكمة ممتعة إذ أن أبولون كان أيضا رئيسا للأطباء في أوليموس بالإضافة إلى كونه إله الصواعق، وكان يمتلك الرماح القاتلة فكان يسبب الأوبئة والطاعون وهي الأمراض التي كان يقوم بمعالجة وبائها ابنه اسقلبيوس على الأرض.[3]

---

[1] رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1415هـ-1995م، ص26.
[2] المرجع نفسه، ص26.
[3] المرجع نفسه، ص27.

يتضح لنا من هذا القول أن "ا اسقلبيوس" كان شخصية حقيقية، وكان له ابنتان وثلاثة أولاد وهم أطباء، الابنة الأولى بانيسيا وكانت تعرف كل العقاقير وتعالج من الأمراض وقد استعمل اسمها في الطب كونه علاجا لجميع الأمراض.

والابنة الثانية "هيجيا" وبرعت في الصحة العامة، وكانت تقوم بتغذية الثعابين المقدسة التي كانت تقدم ترياق العلاجات، فكان الإغريق يأكلون الثعابين ليزدادوا علما بالطب.[1]

أما الابن الأول "تلسفورس" ومهمته جعل النقاهة من الأمراض سليمة، والابن "بودااليريس" وبرع في الطب الباطني والنفسي والابن الثالث "مخيون" وكان جراحا وطبيبا.[2]

وإلى جانب أبناء "اسقلبيوس" الذي برع كل واحد م نهم في مجال خاص، نجد "ارسطاطاليس" الذي أسس الليسيوم وشرح الحيوان، وقارن بين أجسامها وأعضائها، كما وضع أسس علوم النبات والحيوان والأجنة ووظائف الأعضاء، وبقيت تعاليمه متبعة إلى ما يزيد عن 2000سنة، و لم يجرؤ أحد على أن يناقش أو يخطئ آراءه.[3]ولقد ظهر من ذرية "اسقلبيوس" سبعة أطباء هم "غورس، مينس، برمانيوس، أفلاطون الأول، اسقلبيوس الثاني، أبقراط وجالينوس، وبرز أيضا ثلاثة علماء وصارت أعمالهم أساسا لكثير من النظريات والمعلومات الطبية : فيثاغورس، قيمايون وأمباد وقليس."[4]

وبظهور علماء أطباء ظهرت بعض المدارس الطبية المتخصصة كمدرسة قوس وكنديس.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد كانت أثينا مركزا علميا هاما ضج بالعلماء ومدارس التعليم وازدهرت العلوم الطبية ولمعت أعلام من الأطباء الذين طبقت شهرتهم الآفاق مثل أبقراط

[1] المرجع السابق، ص27.
[2] المرجع نفسه، ص27.
[3] المرجع نفسه، ص27.
[4] المرجع نفسه، ص27

وجالينوس، ولابد لنا من وقفة قصيرة على حياتهم وإنجازاتهم الطبية وما كان لها من عظيم الأثر على إنجازات المسلمين الطبية.

أبقراط بن هيراقليدس (أبو الطب)[1]

ولد أبقراط بجزيرة قوص القريبة من شاطئ آسيا الصغرى، وكان والده طبيبا، تعلم في أثينا ثم سافر ليعمل في تراقيا، تساليا، ومقدونيا، لقد فصل الطب عن الدين والفلسفة، وبعد أ ن كان المرض مسا من الشيطان أصبح موضوع بحث إكلينيكي، وقد اعتبر أبقراط كل مريض حالة قائمة بذاتها، ولذلك دوّن أعرض كل حالة وأسمى مرضها، كان يعود إلى المعلومات المختبرة الماضية في فحصه وذلك بعد إثبات كل معايناته الواقعية دون تخمين أو ترجيح.

فكان يجمع الأعراض التي يبني عليها تشخيصه أولا ثم يخرج منها برأي موضوعي علمي مستندا إلى تجاربه السالفة. فيكون أبقراط بهذا خطا خطوة هامة في تاريخ الطب، حيث خالف الفلاسفة الأطباء الذين شخصوا الحالة أولا ثم كيفوا الأعراض تبعا لهذا التشخيص مثل فيثاغورس وانكساجوراس الذين خلطوا بين العقل وبين القوى الخارقة للطبيعة.[2]

جالينوس:

ولد جالينوس في برغامس، كان والده نيكون مهندسا عارفا بعلوم الرياضيات والهندسة، والمنطق والنجوم، وقد حرص على تلقين ابنه العلوم والمناهج منذ حداثته، وبعد وفاة والده وهو في سن التاسعة عشر ، ثابر على التحصيل وانتهج في علم التشريح الطرق التجريبية.[3]

[1] المرجع السابق، ص28.
[2] المرجع نفسه، ص30.
[3] المرجع نفسه، ص33.

انتقل جالينوس إلى سميرنا لدراسة الطب على يد الطبيب بيلوبيس وكان متأثرا بطب أبقراط وهناك درس الفلسفة الأفلاطونية على يد أبينوس، عُيِّن طبيبا في "اسكلبيون" ثم افتتح عيادة خاصة به، وله مصنفا في علم التشريح وعلم الوظائف.

التزم جالينوس بالمبادئ الأساسية في المجموعة الأبقراطية فشرح معانيها وفسرها وعلق عليها كالأخلاط والأمزجة والكيفيات، وبين تشريح الأعضاء ومصاعب العمليات الجراحية والآلام الناتجة عنها، وبسبب تخوفه من أصول التشريح التي أعلنها من قبل الطبيبان هيروفيلس و ارسستراتس في مدرسة الإسكندرية وذلك لوضع القيود في مسيرة التقدم العلمي الاختباري في طريقة الأجيال اللاحقة، فإن جالينوس لم يؤسس مدرسة طبية ناجحة و لم يتبع نظاما معينا للصناعة الطبية، ولعل هذا ما جعل أعماله الجيدة كمًّا مهملا، مع أن تواليفه بقيت لأكثر من ثلاثة عشر قرنا مرجعاأساسيا لطلاب هذه الصناعة وممارستها في تطبيق الطب وفلسفته.[1]

الطب في بلاد النهرين:

تشير بعض الآثار الموجودة في مدينة أور إلى أن السومريين كانوا يعرفون الطب، ففي سنة أربعة آلاف وخمسمائة قبل الميلاد عثر في حفرة داخل المقابر على ست جثث وثمان وستين جثة لخادمات "وكانت هذه الجثث مصفوفة على عرض الحفرة واستدل من ترتيب الجثث أن وفاة أصحابها لم تكن إثر تعذيب أو قتل طوعا مع ملكهم أو ملكتهم. وكان هذا في سنة اربعةآلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، نستشف من هذا وجود عقاقير مُنوِّمة بالإضافة إلى ما عُثِر عليه من عقاقير التجميل، وهذا يدل على أن السومريين في مدن أور و كيش كانوا يعرفون الأقرباذين (دستور الأدوية ولاسيما الأدوية المركبة والمستحضرات الصيدلانية".[2]

---

[1] المرجع السابق ص33.
[2] المرجع نفسه، ص38.

وفي سنة ألفين قبل الميلاد برزت الحضارة الآشورية، "ولأن العلم كان محصورا في الكهنة آنئذ فقد جمعت هذه المدينة بين الكهنوت والطب في شخص الكاهن، وكما نظر إلى علم الفلك كسحر فلكي، اعتبر الطب علما كهنوتيا، ومع ذلك فكثيرا ما امتزج بالفلك والسحر."[1]

وقد دلت اللوحات الطينية الموجودة في دار كتب الملك اشور بانيبال وقد نقش على ثمانمائة منها (اللوحات الطينية) نصوص طبية على "أن الآشوريين كانوا يعتقدون أن الأمراض من أعمال الأرواح الشريرة، وكان تشخيص المرض لا يتطلب أكثر من مناظرة المريض، أما إنذار المرض فكان يُحدَّد بالتخمين والاستدلال بالنجوم، وكذلك بأن يقدم للمريض كبد شاة ليتنفس فيه وينقل إليه أعراض مرضه، ثم كان الكاهن يتلو بعض الرقى على دم المريض أو لعابه أو بوله ثم يخلص من ذلك إلى معلوماته الطبية عن حالة المريض."[2]

لقد استعمل الأطباء الكهنة الكثير من الوصفات الشفائية والعلاجية والعقاقير الطبية "وفي هذه الوصفات ذكر لرقى عديدة، وبعضها يتضمن عقاقير نافعة للبدن، ولكن هؤلاء الأطباء الكهنة كانوا يمزجون هذه العقاقير أحيانا بمواد خبيثة على زعم أنها تزعج الأرواح الشريرة المسبِّبة للمرض فتهجر جسم المريض ويبرأ."[3]

ومن الأمثلة على ذلك نجد أن الطبيب الكاهن قد "عالج التهاب الملتحمة بشق بصلة ومزجها بالبيرة، والمعروف أن هذا المزيج يدر الدمع، والدمع إفراز قاتل للجراثيم المسببة للالتهاب، ثم كانوا يدهنون العين بالزيت وكان يمكن أن يكون هذا العلاج سليما إلى درجة ما باستعمال المزيج المطهِّر ولكن الكاهن كان يعتقد أن هذا العلاج غير كاف لدفع ضرر الجن والروح الخبيثة، فأضاف إلى العلاج بعض الشعوذة."[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 38.
[2] المرجع نفسه، ص38.
[3] المرجع نفسه، ص 39.
[4] المرجع ا نفسه، ص40.

وكما عالج الأطباء الكهنة بالسحر والشعوذة، وجدت طائفة من الكهان الذين عرفوا الطب الباطني وتسمى أشيبو، وطائفة أخرى من الكهان مارسوا الجراحة وتسمى "آسو" وكانوا يعالجون الجراح والكسور ولدغات الأفاعي والزواحف، كما عالج أشيبو بالأعشاب والمعادن، وفي عهد الملك حمورابي تطور علم الطب وحازت طبقة آسو على مكانة مرموقة، فبينما كان الكهنة مسؤولين أمام الآلهة كان الأطباء "آسو" مسؤولين أمام المملكة.[1]

وكتب الطبيب الآشوري في أمراض الرأس والعين والأذن والصدر والأسنان حسب أعراض هذه الأمراض، وعلّل الطبيب الآشوري كذلك سبب المرض فذكر أن أجساما غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء من طريق التنفس أو الطعام أو الشراب، أو مع الأوساخ من طريق الجلد، وهو ما نعرفه اليوم بالعدوى الجرثومية، أما ما ذكر عن الأرواح الشريرة التي تسبب المرض وتلحق الضرر بالجسم فلاشك أنه قصد ما نعرفه اليوم بالمرض النفسي والعقلي، ولذلك وصف التعاويذ والرقى لملء الروح المسبِّبة للمرض.[2]

الطب في بلاد فارس:

لم تنشأ في بلاد فارس القديمة ثقافة طبية علمية إلا بعد دخول "الإسكندر المقدوني" إليها حوالي سنة 334ق.م فكان الطب الفارسي في بادئ الأمر مقصورا على الكهنة فقط، وكان اعتقادهم أن سبب العلل في جسم الإنسان يرجع إلى الشيطان واعتمدوا في علاج المرضى على الرقى و التمائم أكثر من اعتمادهم على العقاقير، وكان الطب الفارسي في ذلك الزمان أي في القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد، مزيجا من الطب المصري القديم والهندي والبابلي واليوناني.[3]

ويرو "ابن فاتك" أن الإسكندر عند دخوله فارس أحرق كتب المجوس إلا كتب الطب والحكمة والنجوم، فقد عمد إلى نقلها إلى اللغة اليونانية وأرسلها إلى بلاده، ويدل هذا العمل

[1] ينظر: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ، ص40.
[2] المرجع نفسه، ص41.
[3] رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص43.

على أنه بالرغم من أن اليونانيين كانوا قادة الفكر في العلوم الطبية عصر ذاك إلا أنهم أخذوا عن الكتب الفارسية ما لم يعرفوه في علومهم وبحوثهم وما كان جديدا من العلوم التطبيقية عليهم.[1]

وبرز في فارس طبقة الزراد شتية التي اهتمت بدراسة الطب ولمعت في صناعته، وتكونت من هذه الطبقة فئات ثلاث من المعالجين، الأولى كانت تعالج بالأدعية والصلاة، والثانية بالأغذية والعقاقير والثالثة كانت تستعمل الأدوات الدقيقة في إجراء العمليات الجراحية والظاهر أن أطباء الفرس الزرادشتين كانوا يتهيبون من إجراء العمليات الجراحية قرونا طويلة بعد عهد الأخمينيين، وفي الحقبة التي انتشرت فيها الديانة المزدكية كان لا يسمح لطبيب القيام بالعلاج الجراحي على أتباع المذهب الزرادشتي ما لم ينجح في إجراء ثلاث عمليات على المريض من غير اتباع الديانة المزدكية.[2]

فالطب في بلاد فارس لم يعرف شكله العلمي إلا في خلال حكم آل ساسن أي في ق3م وأبرز ما كان في حضارة ذلك العهد هو القسم المتعلق بمدرسة جنديسابور وهي مدرسة طبية متميزة، أصبحت في أواخر القرن السادس الميلادي أعظم مركز ثقافي طبي، حيث كان ملتقى الثقافات الطبية في مصر واليونان والهند وبابل وكانت هذه المدرسة مركزا هاما لترجمة علوم اليونان الطبية إلى اللغة السريانية والتي ترجمت بعد ذلك إلى العربية، وكان من أشهر الأطباء "جبرائيل درستابان" الذي يقال أنه الجد الأعلى لأسرة البختيشوعيين.[3]

واللغة التي كانت مستعملة ومدونة في الكتب في بيمارستان جنديسابور هي السريانية واليونانية بالإضافة إلى شيء من الفارسية، ثم دخلت بعد ذلك اللغة الفارسية في كثير من أسماء الأدوية والعقاقير الطبية، ولكن ممارسة صناعة الطب كانت تعتمد الأسلوب اليوناني الذي يتصف بنظرية الأخلاط والأمزجة، وطريقة المعالجة تكون بالمسهلات والمقيئات.

---

[1] المرجع السابق، ص44.
[2] المرجع نفسه، ص44.
[3] المرجع نفسه، ص76.

كما مورست العلاجات الطبيعية بالتدليك والحمامات و الرياضة والتغذية، أما في مجال الطب الجراحي فإن أطباء جنديسابور لم يتوسعوا في نطاق فنونه، وكانت أكثر عملياتهم الجراحية محصورة في الجراحات البسيطة كعمليات بتر الأعضاء وقلع الأضراس وما يشابهها من العمليات.

وكان من خصائص أطباء جنديسابور أن يقصروا علمهم عليهم، ولم تكن لديهم رغبة في أن يفضوا بعلمهم إلى غيرهم.[1]

وهذا يعني أن بلاد فارس كانت تشتمل على قدر معين من المعارف الطبية العملية التي استفاد منها أطباء آخرون.

هـ/ الطب في الهند:

استفاد الهنود من إسهامات الحضارة البابلية في الطب والصيدلة، ولكنهم لم يتوقفوا عند الممارسات الطبية البابلية التي عرفوها، بل أضافوا إليها إضافات جوهرية اختصوا بها، وتميز بها طبهم كطب هندي.

ومن المصادر التاريخية الطبية الهندية التي ذاع صيتها كتاب "سردا" وكتاب "شاراكا" وهما كتابان متشابهان فيما يحتويان عليه من معارف حيث يشتملان على أسماء العقاقير الطبية المعروفة آنذاك.

ويعتمد الطب الهندي في المعالجة على توصيات صحية وأدوية مستحضرة من النباتات والحيوان والمعادن، اتخذت صورا عدة منها: نقوعات، دهونات، تبخرات، كما اهتم الطب الهندي بالجراحة مثل: تقطيع الجنين، تجميل الأنف وغيرها.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص47.

[2] خالد حربي، الأسس الإبستومولوجية لتاريخ الطب العربي، صفحة 69.

ويذهب الطب الهندي القديم إلى أن المرض سببه اضطراب في العناصر الأربعة (التراب، الماء، الهواء، النار)، وإنما الشفاء يكون بالعلاج بالأعشاب والتمائم السحرية لإزالة هذا الاضطراب، والماء بحسب الطب الهندي هو خير علاج لمعظم الأمراض، وعلى الرغم من تحريم البراهمة تشريح جثث الموتى، إلا أن بعض أطبائهم كان ينصح بذلك لتدريب الجراحين على أعمال الجراحة.

وكان أطباء الهنود يحذرون من الإسراف في إستخدام العقاقير في مقابل النصح باستعمال الأدوية النباتية والأعشاب الطبيعية، وانصبت نظرية العلاج عندهم على نظام ا الغدية والحمية ، ولازالت الهند تهتم اهتماما كبيرا بالعلاج بالأعشاب في الوقت الحاضر[1].

و قسم علماء الهند العقاقير الى اقسام ثلاثة ،نباتي و هو المهم بالنسبة لهم مثل الصبر و عرق الأيكى و الحشيش و الزعفران، و العقاقير المعدنيةكالشب والزرنيخ والبورق ،والعقاقير الحيوانية مثل:المسك ولحم الحيات ودهون مختلفة، ولقد نال أطباء الهنود شهرة عالمية في صنع أنواع من الترياق تمنع تأثير السموم في البدن، ولا يزالون يفوقون الأطباء الأوربيين في علاج عضة الثعبان.[2]

ومن أشهر أطباء الهند:

1- كنكه الهندي:

حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم، وله نظر في صناعة الطب، وقوي الأدوية ومن كتبه: كتاب أسرار المواليد، كتاب الطب، وهو يجري مجرى كناش.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 70.
[2] خالد حربي، الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربي، صفحة 70.
[3] المرجع نفسه، صفحة 71.

2- شاناق: من المشهورين أيضا من أطباء الهند، وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم والحكمة وحسن الكلام، متقدما عند ملوك الهند، ولشاناق من الكتب: كتاب السموم في خمس مقالات، ونقله من اللسان الهندي إلى الفارسي منكه الهندي.[1]

3- بودر:

حكيم فاضل من حكام الهند وعلمائهم، كان متميزا في أيامه، وله نظر في الطب وتصانيف في العلوم الحكمية، وله من الكتب: كتاب المواليد قد نقل إلى العربي.[2]

4- منكه الهندي:

كان عالما بصناعة الطب، حسن المعالجة، لطيف التدبير، فيلسوفا، متقنا للغة الهند ولغة الفرس، وهو الذي نقل كتاب "شاناق الهندي" في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسية، وكان في أيام هارون الرشيد، وسافر من الهند إلى العراق في أيامه واجتمع به وداواه، ويروى أن الرشيد اعتل بعلة صحيحة فعالجه الأطباء، فلم يجد من علته إفاقة، فقال له "أبو عمر الأهجمي": "بالهند طبيب يقال له منكه، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم، فلو بعث إليه أمير المؤمنين، فلعل الله يهب له الشفاء على يده، فقدم وعالج الرشيد، فبرأ من علته بعلاجه، فأجرى عليه رزقا واسعا وأموالا كافية."[3]

وهذا يبين مدى تفوق أطباء الهنود وتمكنهم في الفن الطبي والعلاجي وهم وإن كانوا قد تأثروا بالطب البابلي في بعض جوانبه، فإنهم أثروا في غيرهم من الأمم ولاسيما اليونان.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 71.
[2] المرجع نفسه، ص 72.
[3] خالد حربي، الأسس الإبستومولوجية لتاريخ الطب العربي، ص 72-73.
[4] ينظر: الأسس الإبستومولوجية لتاريخ الطب العربي، من ص 71 إلى ص73.

الطب عند العرب قبل الإسلام:

الطب مهنة قديمة قدم الإنسان نفسه، وهو علم يهتم بصحة الإنسان وقد عرفه عرب الجاهلية كما عرفه غيرهم من الشعوب، وكانوا يعتقدون أن سبب المرض روح شريرة ولا يشفيها إلا السحر وعمل التمائم والرقى على أيدي الكهان والعرافين وزاجري الطير والعيافين والسحرة و المشعبدين مما يعرف بالعلوم الباطلة.[1]

وإضافة إلى هذه الممارسات السحرية التي كانوا يعالجون بها،" قد اعتمد العرب بعض التجارب البسيطة، وعلى العادة والتقليد، وهو طب يتجلى فيه ضعف التعليل والحكم بسبب الاعتماد على العادة المعروفة لا على أسس ثابتة علمية فكان إذا مرض أحدهم وتألم وصفوا له علاجا فيفهم أن لديهم نوعا من الربط بين الداء والدواء وكان هذا على فهم عادة القبيلة أن يتناول أفرادها المرضى هذا الدواء عند هذا الداء."[2]

فنجد عرب الجاهلية قد تداولوا بأساليب مجربة كاستعمال الكي والتداوي بالأعشاب وصولا إلى الاستعانة بالسحر والشعبذة.

ومن الأمراض التي عرف العرب علاجها مرض الكلب، وكانوا يطلقون "اسم الحدري" لأنهم لاحظوا أن بثور هذا المرض شبيهة بالسلع التي تظهر على أعناق الإبل، أو على النتوءات التي تظهر على سطح الأرض إذا جدرت أي إذا ارتفعت في بعض مواضعها بسبب اندفاع النبت من تحتها، ثم أطلقوا اسم الحصبة نسبة للارض الحصباء و هي ذات الحصى النائئة على أديمها وعالجوا هذين المرضين بـــبذور الحشائش والحرمل والحنظل، وأطلقوا اسم اليرقان على الصفرة التي تطفح على البشرة وبياض العين، وهي صفة كانوا يطلقون بها على الزرع إذا اصفر

[1] ينظر الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص66.
[2] المرجع نفسه، ص67.

لونه". وعرفوا الطاعون وأطلقوا عليه هذا الاسم لأن الإصابة به كالطعنة القاتلة وأسموه أيضا "دعوس" وكانوا يعتقدون أنه ضرب من وخز الشيطان."[1]

ومن الملاحظ أن العرب كانوا "يخلطون بين عرض المرض والمرض نفسه، فجعلوا العرض مرضا، فألم الرأس الذي يصدع سموه صداعا، وأسموا الصداع النصفي شقيقة لأنه يصيب أحد شقي الرأس، وسموا المرض الذي يسبب بتر الأصابع وقطع النسل جذام وهو من الجذم أي القطع.

وفضلا عن ذلك نجد أمراضا مازالت معروفة باسمها إلى يومنا هذا، مثل داء الفيل، النملة، الجرب، اليرقان، المغس أو المعض، الفالج، البرص، البهق، الذبحة الصدرية، الرمد، الإسهال، اضطراب التبول."[2]

وبوجود الداء أوجد العرب الدواء، فبرزت عدة أدوية للمعالجة وأهمها العسل، الحجامة والكي بالنار وجعلوه آخر الدواء.

"وكان العسل الدواء الأكثر استعمالا في معالجة الإمساك والبطنة والإسهال، ما أنهم لجأوا إلى الهليون لاستدرار البول عند الاحتباس وتخفيف وجع القولون، واستخدموا عين الثعلب في قطع دم الحيض المستديم، واستخدموا الحمص لإخراجه في انقطاعه وعدم نزوله، ثم إنهم استعملوا الثوم لإخراج ديدان البطن وعلاج أمراض المعدة وبعض امراض القلب، وأكلوا البصل والكمون لعلاج بعض الحالات الصدرية، وتناولوا السفرجل لأنه يقوي القلب ويطيب النفس، وأكلوا الزبيب لأنه يجدد النشاط ويذهب التعب ويصفي اللون."[3]

---

[1] المرجع السابق، ص67.
[2] رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ، ص72.
[3] المرجع نفسه، ص73.

واستعملوا الترياق لتلطيف النفس وقطع الألم، وكانوا يسمون الخمر ترياقا أو درياقا لهذا السبب وعالجوا أيضا بالحبة السوداء في حالات عديدة تتعلق بالجهاز الهضمي، وعرفوا أن الكمأ مفيد في علاج أمراض العين وعلاج بعض حالات التسمم، كما استعملوا البنج وهو عشب صحراوي للراحة والتخذير لجلب السبات.[1]

واهتموا بصحة الأسنان فاستعملوا المساويك لتنظيفها، واستعملوا الكحل في العين زينة وتجميلا، وكذلك استعملوا الإثمد لتقوية الإبصار وتكثير شعر الأهداب، وعالجوا الماء الأسود في العين بالنقب، وبعمل ثقب في العين ليدخل إليها النور الباصر، واستعملوا الفصد والحجامة لأوجاع الرأس وأمراض العين.

واستعملوا الكي لأوجاع المفاصل، وفي حالة الاستسقاء والجروح، وأوجاع البطن والعقم وتوقيف النزيف الدموي، واستعملوا الجبائر في حالات الكسور[2].

بعد قراءتنا للطب في الحضارات القديمة في كل من اليونان، بابل، مصر، الهند، الفرس، وببلاد العرب، اتضح لنا أن الطب ارتبط بالسحر والشعوذة والرقى والدجل، ومارسه أول الأمر السحرة والكهان، وكانت المعالجة تتمثل في الرقى والتعاويذ أما الأمراض فكانت تعزى إلى الأرواح الشريرة، ولا يتم الشفاء إلا بالتضرع إلى الآلهة، فكانوا يلجأون إلى الكهان لقربهم منها، ولا يخفى أن الطب كان يستند أحيانا أخرى إلى المبادئ العلمية، إذ برع الأطباء في فنون العلاج الطبي، فقد كانت لهم معارف طبية عملية وعلاجية تفوقوا فيها واستفاد منها أطباء آخرون.

[1] المرجع السابق، ص73.
[2] المرجع نفسه ص 74.

الف

الطب في الحد بية الإسلامية

المبحث الأول: الطب في صدر الإسلام

المبحث الثاني: الطب في العصر الأموي

المبحث الثالث: الطب في العصر العباسي

المبحث الرابع: مآثر العرب الطبية وابتكاراتهم

حققت الحضارة العربية الإسلامية انتشارا ودواما متلازمين لم تحققهما أي حضارة أخرى غبر التاريخ، وكانت مصدر الإشعاع الوحيد الذي غمر بنوره كل أنحاء الدنيا في العصور الوسطى، ولا تزال آثارها و مؤلفات علمائها خير شاهد على دورهم الريادي في مسيرة التقدم العلمي والتقني.[1]

ففي مجال الطب العربي الإسلامي فقد تميز بجودة المؤلفات الطبية وحسن تبويبها وتنظيمها، وبقيامهم بإنشاء المستشفيات العلاجية والتعليمية كما هو متبع في عصرنا الحاضر، واهتمامهم بالطب الإكلينيكي (السريري) المبني على التجربة والمشاهدة، واستخدامهم العقاقير الطبية والأعشاب باقتدار بالغ وبنوا عنهم في ذلك.[2]

والمباحث التالية تلقي الضوء على بعض ما يتضمنه التراث الطبي والصيدلي لعلماء الحضارة العربية الإسلامية من نظريات وأفكار ومفاهيم ذات قيمة معرفية ومنهجية تشكل الأساس لكثير من المباحث العلمية الدقيقة التي تعامل اليوم كعلوم تخصيصية فرعية شبه مستقلة، نظرا لاتساع دائرة البحث في موضوعاتها مثل: علوم التشريح، والجراحة والطب السريري، وطب الفم والأسنان، وطب النساء والتوليد، وطب الأطفال، والطب النفساني والطب الوقائي والطب البيئي والطب الاجتماعي والصحة العامة وطب الأعشاب والعقاقير والطب البديل وغيرها.

وبرع الأطباء العرب في تشخيص وعلاج العديد من الأمراض الباطنية والأورام فوصفوا أمراض المعدة والكلى والكبد والطحال وعرفوا بعض الديدان المعوية مثل ثعبان البطن وغيره،

[1]- محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلامية، القاهرة، دط، سنة 1426هـ-2005م، ص591.
[2]- عادل طه يونس، رواد العلم الحائزون لجائزة نوبل 1901-2006 في الطب والفيسيولوجيا، ص16.

ووصفوا أعراض الإصابة بها، وقاموا بمعالجتها بأدوية قاموا بتحضيرها من الأعشاب، ووصفوا الكثير من الأمراض العصبية والنفسية وعرفوا أمراض الصرع والتشنج وغيرها.[1]

وسنعرض بالحديث عن الطب في الحضارة العربية الإسلامية من خلال لمحة عن الطب في العصر الإسلامي الأول، وما تلاه كالعصر الأموي، وكذا ما طرأ عليه من تطور بالأخص في العصر العباسي بالإضافة إلى ما حققه العرب وما أضافوه من إنجازات وابتكارات في مجال الطب بفروعه واختصاصه.

المبحث الأول: الطب في صدر الإسلام

لقد عنت الرسالة الإسلامية بالإنسان جسدا وروحا عناية فائقة، وعالجت مشكلاته وعملت على رفع الحرج، ودفع المشقة عنه، واهتمت بصحته وسلامته وقوته، باعتباره خليفة لله في أرضه، وإن من أول مقتضيات هذه الخلافة سلامة العقل وصحة البدن وصفاء الروح.[2]

من هنا فقد أمر الإسلام بالتداوي وأقر ممارسة الطب واعترف به، وحرص على نقله من مجال الخرافة والشعوذة الذي كان غالبا عليه إلى ميادين العلم والتجريب، فعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل."[3]

لقد عني الإسلام بالنظافة والطهارة إلى درجة كبيرة وجعلها أساس العبادات، فلا صلاة لمن لا طهارة له، حيث قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا"[4] وجعل

---

[1]- المرجع السابق، ص16.
[2]- الجميلي السيد، الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب، الجزائر، دط، د.ت، ص63.
[3]- زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، منشورات الجنة إحياء السنة أسيوط، دط، دت، ص386.
[4]- سورة المائدة الآية 5.

الإسلام الطهارة شطر الإيمان، قال تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"[1] إلى جانب طهارة البدن اعتنى الإسلام بطهارة الثياب حيث قال تعالى "وثيابك فطهر".[2]

و اهتم الإسلام بصحة البدن وذلك عندما فرض الصلاة خمس مرات في اليوم، وهي في مجملها عبارة عن مجموعة من الحركات الرياضية المنظمة والتي لها فائدة مباشرة على سلامة العظام والمفاصل وتُعوِّد الشخص على الحركة وعدم الخمول وبالتالي تعود بالنفع على صحة الإنسان.[3]

ولأن الإسلام اهتم بصحة الإنسان فقد حرَّم الخمر الذي يعتبره الأطباء من أخطر المواد على جسم الإنسان حيث قال سبحانه وتعالى: "إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيسِرُ والأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فاجْتنبوهُ لَعلَّكُمْ تُفْلِحون"[4] وحرَّم أكل لحم الخنزير لأنه يأكل الجيفة والميتة، كما يحتوي لحم الخنزير على أكبر قدر من الدهون مما يجعل لحمه عسير الهضم، قال تعالى: "حُرِّمَت عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ ولحْمُ الخِنْزيرِ وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ."[5]

لقد اهتم الإسلام بالصحة والعافية، وجعلها مطلبا ضروريا يتوجَّب على الإنسان أن يحرص عليه، ولا يُفرِّط فيه، ويسعى وراء أسباب الشفاء فالله لم يُنزِلْ داءً لم يجعل له دواء، ورد في صحيح البخاري حدَّثنا محمد بن المثنى، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: حدَّثني عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أَنْزَلَ اللهُ داءً إلا أنزل له شفاءً."[6]

---

[1]- سورة البقرة الآية 222.
[2]- سورة المدثر الآية 4.
[3]- الجميلي السيد، الإعجاز الطبي في القرآن، ص64.
[4]- سورة المائدة الآية 9.
[5]- سورة المائدة الآية 3.
[6]- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بروزية البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ا الفجرللتراث، القاهرة، ط، سنة 1426هـ-2008م، ج،4ص34.

الطب النبوي:

.بمجيئ الإسلام تطور الطب على يد النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره المُعلِّم والطبيب حتى صار الطب يعرف باسم الطب النبوي.

فالطب النبوي هو ذلك الطب الذي ارتبط بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما يطلق على مجموع الأحاديث الشريفة، تحدَّث الرسول صلى الله عليه وسلم في الطب والمرض والوقاية من العدوى وفي فضائل الأطباء التي تجمَّعت للرواة عنه ما يزيد عن ثلاثمائة حديث من أحاديثه الشريفة والتي تشمل وصايا صحية في الوقاية من الأمراض، واختيار الأطعمة النافعة، وأصول عيادة المريض، ولزوم استشارة الطبيب إلى جانب تركيزها عن أهمية النظافة والرياضة للصحة.[1]

وطِبُّه صلى الله عليه وسلم ليس كطبِّ غيره من الأطباء، فطِبُّ النبي صلى الله عليه وسلم صادر عن الوحي و مشكاة النبوة وكمال العقل، أما طبُّ غيره فأكثره حدس وظنون وتجارب.

طب الأسنان:

لقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على طهارة الفم وتنظيف الأسنان بمُطهِّر وهو السِّواك ورد في سنن ابي داود: حدَّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنل عيسى بن يونس ثنامحمدبن اسحاق،عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان،عن زيد بن خالد الجهني،قال سمعت رسول الله يقول:"لولا أن أشُقَّ على أُمَّتي لَأَمَرْتُهُم بالسِّواكِ عند كل صلاة".[2]

[1]- الجميلي السيد، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، ص65.
[2]- أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود، دار الجيل بيروت، لبنان، دط، سنة 1412هـ/1992م، مج1، ص12.

حيث أثبت العلم الحديث وبعض الدراسات التي أُجريت على السِّواك تُبيِّن أنه يحتوي على الفلورايد والسليكون والقلويات والتانين ومواد شمعيةو سنُبيِّن فيما يلي مفعول كل مادة.[1]

"أما مادة الفلورايد التي وجدت في أعواد السواك فلها دور في تخفيف ومنع أمراض التسوس، وذلك من جراء تفاعل الفلورايد مع إحدى مكونات السطح الخارجي للأسنان، وتسمى الهيدروكس أباتيث والتي تُحوَّل إلى مادة تسمى فلوروأباتيث، وهذا الناتج الأخير له مقاومة عالية ضد الذوبان الإحماضي التي تفرزها البكتيريا إثناء وجود مرض التسوس.[2]

كما يعمل الفلورايد على تقليل حموضة الإفرازات البكتيرية في داخل الفم مما يقل من سرعة ذوبان أجزاء الأسنان الخارجية في هذه الأحماض، ويساعد الفلورايد على إعادة ترسيب المادة المفقودة من الأسطح الخارجية المتأثرة بالتسوُّس، مما يزيد على مقاومتها مستقبلا للتسوس كما يعمل الفلورايد على إحباط نمو البكتيريا المسببة للتسوس في الفم. فالفضلات المترسبة على الأسنان تزال بالحركة الميكانيكية في استخدام السواك، مما يجعل شعيراته تقوم بتدليك اللثة وتنشيط الدورة الدموية فيها."[3]

ومادة السيليكون هي الأخرى لها أثر فعال في إزالة الفضلات والألوان المترسبة على الأسطح الخارجية للأسنان، أما القلويات الموجودة في السواك فهي التي تعطي النكهة والطعم الطيب للسواك، ولها أثر على توقيف نشاط البكتيريا في الفم، وتعمل التانين والمواد الشمعية على شد الأنسجة المخاطية المرتخية للثة، والأنسجة المحيطة بها، فيقوي الأنسجة وتعمل المواد الشمعية على تقوية مناعة الأسنان ضد التسوس.[4]

---

[1]- محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط7، سنة 1428هـ-2007م، ص19.
[2]- المرجع نفسه، ص19.
[3]- المرجع نفسه، ص20.
[4]- المرجع نفسه، ص20.

فبعد الدراسات التي أجريت على السواك أثبت أنه أنجع مُطهِّر للفم، و أحسن مُنظِّف للأسنان.

الطب النبوي والطاعون:

الطاعون مرض معد قديم، حصد الملايين من البشر وكان يطلق على أي مرض خطير بطاعون العصر، ينتقل من الحيوان إلى الإنسان مثل الفئران والبراغيث، أو من إنسان إلى إنسان عن طريق العطس.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا الوجع أو السقم رجزُ عُذِّبَ به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعدُ بالأرض، فيذهب المرة ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدمنّ عليه، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنّه الفرار منها."[1]

وفي صحيح البخاري ورد: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عاصم، حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أنس بن مالك رضي الله عنه: يحيي بم مات؟ قلت: من الطاعون، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون شهادة لكل مسلم."[2]

فالطاعون هو نوع من الوباء، وهو ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التفرخ سريعا، وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط وخلف الأذن والأرنبة، وفي اللحوم الرخوة.[3]

[1]- زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، ص390.
[2]- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بروزية البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ج4، ص45.
[3]- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية الطب النبوي،مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر،دط، دت، ص30.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهى عن الخروج منها بعض وقوعه كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضا للبلاء، وموافاة له في محل سلطانه، وتجنب الدخول إليه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية.[1]

وأما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان: أحدهما حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه والصبر على قضائه والرضا به. والمعنى الثاني: ما قاله أئمة الطب أنه يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة وتسكين هيجان الأخلاط ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدا، هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، و لم يقل أحد طبيب ولا غيره أن الناس يتركون حركاتهم عند الطاعون، ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما ينبغي فيه التقلل من الحركة بحسب الإمكان، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه، وأقرب إلى توكله على الله تعالى، واستسلامه لقضائه، وأما من لا يستغني عن الحركة كالصناع والأجراء والمسافرين فلا يقال لهم: اتركوا حركاتكم جملة.[2]

وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها عدة حكم منها:

- ✓ تجنب الأسباب المؤذية والبعد منها.
- ✓ الأخذ بالعافية التي هي مادة العيش والمعاد.
- ✓ أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون.

[1]- المصدر السابق، ص31.
[2]- المرجع نفسه، ص35.

✓ أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فينتقل المرض إليهم، فإن النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية، والنهي عن التعرض لأسباب التلف، وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل، والتسليم والتفويض.[1]

الطب النبوي وعلاج الحمى:

الحمى ارتفاع في درجة حرارة الجسم الداخلية إلى درجة أعلى من الطبيعي، وهي لا تُعدُّمرضا بعينه بقدر ما هي عرض مرضي، وقد وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها فيح من جهنم.

ورد في صحيح البخاري: حدثني يحي بن سليمان، حدثني ابن وهب وقال حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الحمى من فيح جهنم فأطفئوهابالماء"

فخطابه في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز، وما ولاهم إذ كان أكثر الحَميَّات التي تعرض لهم هي نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس وهذه ينفعها الماء البارد شربا و اغتسالا، فإن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب و تنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية: وهي الحادثة إما عن الورم أو الحركة أو إصابة حرارة الشمس أو القيض الشديد و نحو ذلك.[2]

ومرضية: وهي ثلاثة أنواع؛ وهي لا يكون إلا في مادة أولى، ثم منها يسخن جميع البدن فإن كان مبدأ تعلقها سميت حمى يوم، لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام، وإن

[1]- المرجع السابق، ص35.
[2]- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص21.

كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عفنية وهي أربعة أصناف، صفراوية وسوداوية وبلغمية ودموية. وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصيلة سميت حمى دق.

وقد تكون الحمى علاجا ينتفع به البدن انتفاعا عظيما لا يبلغه الدواء "وكثيرا ما يكون حمى يوم وحمى العفن سببا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببا لتفتح سدد لم تصل إليها الأدوية المفتحة."[1]

ومما أقره بعض الأطباء أن كثيرا من الأمراض يستبشرون فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها ،فأخرجها فكانت سببا للشفاء.[2]

فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، و سقي الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها إلى علاج آخر، ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات.

قال الرازي في كتابه الكبير: "إذا كانت القوة قوية، والحمى حادة جدا، والنضج بين ولا ورم في الجوف، ولا فتق ينفع الماء البارد شربا إن كان العليل خصب البدن والزمان حار، وكان معتادا لاستعمال الماء البارد فليؤذن فيه."[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص22.
[2]- ينظر: الطب النبوي، ص23.
[3]- الرازي عن الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص23.

وقد ورد في صحيح البخاري عن الحمى: حدثني مسدد ، حدثنا أبو الأحوص ، حدثنا سعيد بن مسروق، عن عباية بن رفاعة عن جده رافع بن خديج قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الحمى من فوح جهنم فأبردوها بالماء."[1]

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام عن فاطمة بنت المنذر، أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمّت تدعو لها، أخذت الماء فصبته بينها وبين جنبيها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نبردها بالماء."[2]

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد وصف علاجا لخفض درجة الحرارة فدعا إلى استعمال الماء البارد لإطفاء نار الحمى .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: مالك يا أم السائب أو يا أم المسبب تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبي الحمى فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد." [3]

فالحمى كما هي داء فهي دواء تنفع البدن وسائر أعضاء الجسم "فلما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة، وتناول الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن ونفي خبائثه وفضوله، وتصفيته من مواده الرديئة وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه."[4]

والحمى أيضا تنفع القلب فقد أقر أطباء القلب أن الحمى تعمل على تصفية القلب من وسخه ودرنه وأكدوا صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم، كما تستطيع الحمى القضاء على

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بروزية البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ج4، ص43.
[2]- المصدر نفسه، ص 43.
[3]- زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، ص386.
[4]- ابن قيم الجوزي، الطب النبوي، ص24.

الفيروسات التي هاجمت جسم الإنسان، وتزيد من مقاومة الجسم للأمراض، ولهذا لما ذُكِرت الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجل، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن سبها.[1]

فنرى أن العلاج النبوي ظلَّ الأمثل والأنجع في علاج الحمى رغم تعدد وسائل العلاج وتنوع الأدوية في العصر الحديث.

العلاج بشرب العسل والحجامة والكي:

العلاج بالعسل والحجامة والكي كان شائعا منذ الجاهلية إن لم نقل الدواء الأكثر استعمالا، وظل كذلك حتى بظهور الإسلام.

ورد في صحيح البخاري: حدثني الحسين، حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا مروان بن شجاع، حدثنا سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشفاء في ثلاث، شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وأنا أنهي أمتي عن الكي."[2]

وفي تصنيف الأمراض الامتلائية يقول عبه الله المارزي: "الأمراض الامتلائية إما أن تكون دموية أو صفراوية أو بلغمية أو سوداوية، فإن كانت دموية فشفا ؤها إخراج الدم، وإن كانت من الأقسام الثلاثة الباقية فشفا ؤها بالإسهال الذي يليق بكل خلط منها، وكأنه صلى الله عليه وسلم نبّضه بالعسل على المسهِّلات، وبالحجامة على الفصد، وقد قال بعض الناس: إن الفصد يدخل في قوله: "شرطة محجم" فإذا أعيا الدواء فآخر الطب الكي، فذكره صلى الله عليه وسلم في الأدوية، لأنه يستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية وحيث لا ينفع الدواء المشروب.

[1]- ينظر الطب النبوي، ابن قيم الجوزي، ص44.
[2]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بروزية البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ج4، .

ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر "وأنا أنهي أمتي عن الكي" ويقول أيضا: "وما أحب أن أكتوي" وورد في سنن الترمذي :"حدثنا محمد بن بشار ، حدثنامحمد بن جعفر، حدّثنا سُعبة عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أنَّ رسول الله نهى عن الكي قال: فابتُلينا فاكتَوينا فما أفلحنا و لا أنجحنا"[1] وهنا إشارة إلى أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه."[2]

لقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم بالعسل، فورد في صحيح البخاري حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة، عن أبي المتوكل عن أبي سعيد ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: "اسقه عسلا" ثم أتى الثانية فقال :اسقه عسلا،ثم أتاه الثالثة فقال:اسقه عسلا،ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فنسقاه فبرأ."[3]

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم العسل للمريض الذي استلطف بطنه وذلك عن "تـــخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة، أفسدتها وأفسدت الغذاء فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء.[4]

والعسل غذاء وشراب ودواء له منافع عظيمة فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلا وطلاء، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان

[1]- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، سنة 1425هـ/2004م، ص522.
[2]- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص27.
[3]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بروزية البخاري الجعفي، صحيح البخاري،ج4، ص35.
[4]- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص28.

مزاجه باردا رطبا، وهو مغذٍّ مُليِّن للطبيعة، منقٍّ للكبد والصدر، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شُرِب حارا بدهن الورد، نفع من نهش الهوام، وإن شُرِب وحده ممزوجا بماء نفع من عضة الكَلْب الكَلِب، وإذا لُطخ به البدن المقمل والشعر قتل قمله وصئبانه ، وطوَّل الشعر، وحسَّنه ونعَّمه، وإن اكتُحل به جلا ظلمة البصر، وإن استن به بيَّض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة ،ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل حمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويسخنها تسخينا معتدلا، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة.[1]

وصدق الله العظيم حين قال في كتابه العزيز: (يَخْرُجُ مِنْ بُطونِهَا شَرَابٌ مُختلفٌ ألوانُه فيه شفاءٌ للناس).[2]

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الطب البشري والطب الإلهي وطب الأبدان وطب الروح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي.

الحجامة:

لقد تداوى النبي صلى الله عليه وسلم بالحجامة وجعلها خير دواء، ورد في صحيح البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه، أنه سئل عن أجر الحجَّام، فقال: احتجم النبي صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة، وأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه وقال: إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري ."[3]

[1]- المصدر السابق، ص28.
[2]- سورة النحل، الآية 69.
[3]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بروزبة البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ص37.

وأما منافع الحجامة فهي تنقي سطح البدن أكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن أفضل، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد.

والحجامة والفصد يختلفان باختلاف الزمان والمكان والأزمجة، فالبلاد الحارة والأزمنة الحارة والأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج الحجامة فيها أنفع من الفصد بكثير، فإن الدم ينضج ويرق و يخرج الى سطح الجسد الداخل،فتُخرِج الحجامة ما لا يُخرِجه الفصد، وقد نص الأطباء على أن البلاد الحارة الحجامة فيها أنفع وأفضل من الفصد، وتُستحبُّ في وسط الشهر وبعد وسطه، وبالجملة في الربع الثالث من أرباع الشهر، لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيغ وفي آخره يكون قد سكن، وأما في وسطه وبعيده، فيكون في نهاية التزيد.[1]

روى الترمذي في سننه "حدثنا عبد القدوس بن محمد ،حدثناعمرو بن عاصم، حدثنا همام وهمام بن حازم قالا :حدثناقتادة عن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين و الكاهل ، و كان يحتجم لسبع عشرة و تسع عشرة و إحدى وعشرين "[2]

وينبغي للمسلم أن يحتجم وهو صائم، فقد ورد في صحيح البخاري: حدثنا أبو مَعْمر ، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وهو صائم."[3]

أما منافع الفصح فيمكن أن نجملها فيما يلي:

[1]- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص42.
[2]- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، ص523.
[3]- ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص42.

- فصد الباسليق ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما الدم، وينفع من أورام الرئة، ويمنع من وجع البطن وذات الجنب وجميع الأمراض الدموية العارضة من أسفل الركبة إلى الورك.

- وفصد الأكحل: ينفع من الامتلاك العارضي في جميع البدن إذا كان دمويا، وكذلك إذا كان الدم قد فسد في جميع البدن.

- وفصد القيفال (عرق في اليد يفصد): ينفع من العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم أو فساده.

- وفصد الودجين: ينفع من وجع الطحال، والربو والبهر، ووجع الجبين.

- والحجامة على الكاهل: تنفع من وجع المنكب والحلق.

- والحجامة على الأخدعين: تنفع من أمراض الرأس وأجزائه كالوجه والأسنان والأذنين والعينين والأنف والحلق إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده أو عنهما جميعا.[1]

- والحجامة تحت الذقن: تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم، إذا استعملت في وقتها، وتنقي الرأس والفكين.

- والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن، وهو عرق عظيم عند الكعب، وتنفع من قروح الفخذين والساقين وانقطاع الطمث والحكة العارضة في الأنثيين.

- والحجامة في أسفل الصدر نافعة من دماميل الفخذ وجربه و بثوره ومن البواسير والفيل وحكة الظهر.[2]

---

[1]- أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ص37.

[2]- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص44.

الاحتماء من التخم، والزيادة في الأكل على قدر الحاجة:

اعتنى الطب النبوي بصحة الإنسان، فقد شخص النبي صلى الله عليه وسلم الداء ووصف الدواء وفي الاحتماء من التخم قدَّم وصفة لا يتبعها الإنسان إلا حفِظ بها صحته.

لقد جاء في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلا، فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنَفَسِه."

الأمراض ال مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرَّت بأفعاله الطبيعية، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغدية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية ، واعتاد ذلك أورثته أمراضا متنوعةو إذا توسط في الغذاء،وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلا في كميته وكيفيته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير.[1]

ومراتب الغذاء ثلاثة: أحدها مرتبة الحاجة، والثانية مرتبة الكفاية، والثالثة مرتبة الفضلة.

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقُط قُوَّته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، بمنزلة حامل الحمل الثقل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب فامتلاء البطن من الطعام مُضرٌّ للقلب والبدن.[2]

---

[1]- المصدر السابق، ص18.
[2]- المصدر نفسه، ص18.

يُعدُّ هذا الحديث أصلا جامعا لأصول الطب كلها، فلو استعمل الناس هذه الكلمات لحفظوا صحتهم وسلامتهم، ولما كانت حاجتهم إلى طبيب، فكل إنسان طبيب لنفسه، وفي قلة الأكل صحة للإنسان لأن كثرة الطعام وتجاوز الحد إلى درجة الشبع يفضي إلى فساد الجسم ويورثه الأسقام وأثبتت الأبحاث أنا السمنة الناتجة عن الإفراط في الطعام، تسبب مضاعفات خطيرة على القلب والأوعية الدموية والجهاز التنفسي وجهاز الهضم.[1]

فهذا الحديث أصل وقاعدة لحفظ صحة جسم الإنسان، و ندَبَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى التقليل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام، وقسم الأكل أقساما ثلاثة: قِسم للأكل وقِسم للشرب وقِسم للنَّفَس. فالإنسان يحتاج إلى الماء والهواء بقدر ما يحتاج إلى الغذاء فإذا زاد عنصر عن حده أو نقص وقع خلل، فيعود بأضرار على الجسم ولقد ردّ النبي صلى الله عليه وسلم أصل كل داء إلى التخم.

[1]- ينظر: الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص19.

طبيبات مسلمات:

مهنة الطب لم تكن حكرا على الرجال فقط، وقد كان للنساء دور كبير، ونبغت طبيبات منهن أم عطية الأنصارية، الشفاء بنت عبد الله ورفيدة.

1- أم عطية الأنصارية:

وهي صحابية كانت طبيبة في الجاهلية، ولما دخلت الإسلام غزت مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تداوي الجرحى، وهي جراحة ماهرة للغاية، وقد أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تغسل ابنته زينب، روى عنها محمد بن سيرين وأخته حفصة وأم شراحيل وعلي بن الأحمر وعبد الملك بن عمير وهشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: "غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى."[1]

2- الشفاء بنت عبد الله:

اسمها ليلى ولقبها الشفاء، وهي من فضليات النساء، ذات عقل وفضل ورأي سديد، أسلمت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهاجرت إلى المدينة، كانت تعرف القراءة والكتابة وعندما أسلمت طلب منها النبي صلى الله عليه وسلم أن تُعلِّم حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجته صلى الله عليه وسلم، فعلَّمتها الكتابة ورقية النملة وهي قروح تخرج في الجنب وأخرج ابن مندة حديث رقية النملة من طريق الثوري عن أبي المنكدر عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حتمة عن حفصة أن امرأة من قريش يقال لها الشفاء كانت ترقي من النملة فقال النبي صلى الله عليه وسلم علميها حفصة...

[1]- عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورانداته المسلمات، دار الشهاب، باتنة الجزائر، دط، د.ت، ص81.

وأخرجه ابن مندة وأبو نعيم مطولا عن طريق عثمان بن عمرو بن عثمان بن سليمان بن سليمان بن أبي حتمة عن أبيه عثمان عن الشفاء أنها كانت ترقى في الجاهلية، وأنها لما هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته في مكة قبل أن يخرج فقدمت عليه فقالت يا رسول الله إني كنت أرقي برقى في الجاهلية فقد أردت أن أعرضها عليك قال فأعرضيها قالت فعرضتها عليه وكانت ترقي من النملة فقال أرقي بها وعلميها حفصة، إلى هنا رواية ابن مندة وزاد ابو نعيم: باسم الله الذي لا يضر أحد اكشف البأس رب الناس قال ترقي بها على عود كركم سبع مرات و تضعه مكانا نظيفا ثم تدلكه على جحر بخل خمر مصفى ثم تطليه على النملة."[1]

نستشف من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح للشفاء بنت عبد الله بممارسة الطب، فقد برعت في مداواة النملة، ومزجت بين الطب الروحاني فسمت الله ورجته أن يزيل البأس والدواء الشافي وهو عود الكركم وفيه شفا القروح.[2]

[1]- عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورانداته المسلمات، ص81.
[2]- ينظر: الطب ورانداته المسامات، عبد الله عبه الرزاق مسعود، ص18.

المبحث الثاني: الطب في العصر الأموي

1-الطب في العصر الأموي

اتسع نطاق الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا في عصر بني أمية الذي امتد نحو تسعين عاما، من العام الأربعين إلى العام الثاني والثلاثين بعد المائة من الهجرة (40-132هـ/660-750م) وكان من نتيجة ذلك أن عمت الأموال وكثرت الثروات وسادت الرفاهية ليس بين الخلفاء والأمراء فحسب، بل بين الرعية أيضا. فقد امتد ملك الأمويين ما بين سمرقند وأقاصي الأندلس. وكانت دمشق منارا يشع بالعلم والحضارة في أرجاء واسعة من العالم.[1]

لقد اهتم الأمويون بنقل العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية إلى اللغة العربية، ووجدوا ضالتهم في المدارس الكثيرة التي كانت منتشرة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة ونشأ عن ذلك كله جو فكري جديد ومناخ روحي نشيط. فقد عني الأمويون بالعلوم المختلفة كالطب والصيدلة، وعملوا على ترجمتها إلى اللغة العربية، وبهذا قامت حركة نقل رائدة بدأها خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا، مولعا بالعلوم وهو أول من أمر بترجمة كتب الصنعة(الكيمياء) إلى العربية كما أمر عمر بن عبد العزيز بترجمة الكتب الطبية.[2]

فالعصر الأموي وإن كان قريبا من عصر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وكانت الحركة العلمية فيه منحصرة في إتقان لغة القرآن، ومعرفة أحكام الشريعة فضلا عن الاهتمام بصناعة الطب تأثرا بالطب الجاهلي، والطب النبوي، فإن ذلك الاهتمام بالطب قد امتد وزاد في العصر الأموي وابتدأ الطب العربي يتأثر بالاتجاه اليوناني، حيث بدأت بواكير

[1]- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ملتزم الطبع والنشر القاهرة، د.ت، ص115.
[2]- إسحاق رباح سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ط2، سنة 1431هـ/2010م، ص195.

حركة الترجمة والنقل من اليونانية إلى السريانية إلى العربية في هذا العصر، وكان الطب من أوائل العلوم التي اهتموا بها.[1]

2- أطباء عصر بني أمية:

لقد اشتهرت الدولة الأموية بالكثير من الأطباء المتميزين ومن أشهرهم:

- ابن آثال:

من مشاهير الأطباء في عصر بني أمية ابن آثال، إذ كان طبيبا متقدما من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما ملك معاوية ابن أبي سفيان دمشق، اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلا ونهارا، وكان ابن أثال خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، وما منها من سموم قواتل.[2]

وقد روي عن ابن ابي أصبيعة أن ابن آثال كان مع مهارته في الطب والمداواة رجلا سيء الخلق، إذ أنه استعل ما يملكه من وسائل لإلحاق الضرر بالناس، مخالفا بذلك قسم أبقراط ومسيئا لهذه المهنة الشريفة، ومن الأدلة التي يذكرها ابن أبي أصبيعة أن معاوية لما أراد أن يظهر العقد والولاية لابنه يزيد قال لأهل الشام: "إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، و يريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟" وكان معاوية يظن ويتوقع أن يقولوا: يزيدا، ولكنهم قالوا: عبد الرحمن خال بن الوليد، فسكت معاوية وأضمرها ثم دسّ ابن آثال الطبيب النصراني إلى عبد الرحمن فسقاه سما، فمات.[3]

إلا النقد العلمي والتاريخي يصعب عليه تصديق هذه الرواية، فالأحداث التاريخية قد أكدت أن اليهود والنصارى هم الذين قتلوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ثم اتهموا بن آثال

[1]- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 1430هـ، 2009م، ص197.
[2]- قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، دار البخار بيروت، ط1، ص498.
[3]- ماهر عبد القادر محمد علي، الطب العربي، رؤية ابستمولوجية، دار المعرفة الجامعية، دمشق، دط، سنة 1999م، ص45.

طبيب معاوية بغرض إثارة الفتنة بين المسلمين خاصة بعد أن أعلنوا لمعاوية باختيارهم لعبد الرحمن من بعده، وحينئذ يعتقد عامة المسلمين أن معاوية هو الذي دبر قتل عبد الرحمن ليفسح الطريق لابنه يزيد في الخلافة من بعده.[1]

- أبو الحكم الدمشقي:

طبيب نصراني عالم بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان معاوية بن أبي سفيان يعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه، نظرا لحذقه بأنواع العلاجات والأدوية المفردة والمركبة، وأمانته وإخلاصه في صنعه، وكان معاوية يستأمنه على أهله، ومن ذلك أنه كلفه بمرافقة ابنه يزيد عندما سيّره أميرا على الحج إلى مكة.[2]

ويروى عن أبي الحكم أن عبد الملك بن مروان قد مرض مرضه الأخير بحمى شديدة، فأتوا له بأبي الحكم الدمشقي ليعالجه فنصحه بألا يشرب الماء قبل أن تنضج علته وإلا مات، فأمسك عبد الملك عن الماء يومين وفي اليوم الثالث دخل عليه ابنه الوليد بن عبد الملك وفي وجهه السرور والغبطة بموته حتى يعتلي عرش الخلافة من بعده فسأله عن حاله فأجابه عبد الملك وحوله بناته يبكين:

ومستخبر عنا يريد الردى ومستخبرات والدموع سواجم[3]

وكان استفتاحه الشطر الأول وهو موجه للوليد ثم واجه البنات عند قوله الشطر الثاني ثم دعا بالماء فشربه فقضى من ساعته.

---

[1]- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص197.
[2]- أدم ميتز، الحضارة الإسلامية في ق4هـ، الدار التونسية للنشر ، ط1، سنة 1405هـ/1986م،ج1، ص327.
[3]- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ص130.

فهذه الرواية تدل على براعة أبي الحكم الدمشقي كطبيب حاذق ذو خبرة طويلة تمكن صاحبها من التشخيص السليم للمرض ووصف المناسب من العلاج.[1]

3- تياذوق:

هو طبيب فاضل مشهور له نوادر وألفاظ حسنة في صناعة الطب، صحب الحجاج بن يوسف الثقفي وخدمه بالطب، وكان الحجاج يعتمد عليه ويثق في مداواته.[2]

ومن بعض نصائح تياذوق للحجاج: "لاتنكح إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيا، ولا تشرب الدواء إلا من علة، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، وامضغ الطعام جيدا وإذا أكلت نهارا فلا بأس أن تنام وإذا أكلت ليلا فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة..."، كما أوصى كذلك بعدم شرب الماء البارد على الريق.[3]

والواضح أن هذه الوصايا لا يوصي بها إلا طبيب ماهر مجرِّب، ذو خبرة بأمور الطب والمعالجة، وتتضح أهمية هذه الوصايا في أنها تتفق مع ما هو معمول به في الطب الحديث، اللهم إلا الوصية الأخيرة والتي أوصى فيها تياذوق بعدم شرب الماء البارد على الريق، فقد أثبت الطب الحديث أن الماء مليء بالعناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم، وعلى ذلك يكون شربه في أي وقت ضروريا ومفيدا للجسم، كما أن شرب الماء على الريق مفيد لأنه ينبه المعدة ويجعلها تستعد لاستقبال الطعام، ولذلك يجب على الإنسان أن يشرب الماء كلما أحس بالعطش على الريق كان أم على غيره.[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص130.
[2]- المرجع نفسه، ص124.
[3]- خالد حربي، الأسس الابستولوجية لتاريخ الطب العربي، ص161.
[4]- المرجع نفسه، ص162.

4- زينب طبيبة بني أود:

لم تقتصر ممارسة الطب والمداواة على الرجال في الدولة الأموية بل كان هناك من النساء من أجدن واحترفن الطب كمهنة، وكانت أشهرهن الطبيبة زينب طبيبة بني أود، كانت عارفة بالأعمال الطبية، خبيرة بالعلاج ومداواة الأمراض وخاصة أمراض العين وجراحات الجسم وكانت مشهورة بين العرب بذلك.[1]

روى أبو الفرج الإصفهاني في كتابه "الأغاني" أن رجلا أتى امرأة من بني أود لتكحله من رمد كان قد أصابه، فكحلته، ثم قالت: اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجع الرجل ثم قالت المرأة:

أمخترمي ريب المنون و لم أزر طبيب بني أود على النأى زينبا

ثم قالت للرجل: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قال: لا، قال: فيّ والله قيل، وأنا زينب التي عناها، وأنا طبيبة بني أود، أفتدري من الشاعر؟ قال الرجل: لا، قالت: عمك أبو سماك الأسدى.[2]

مما سبق يتبين لنا مدى اهتمام أطباء عصر بني أمية واجتهادهم، بالإضافة إلى محاولتهم الارتقاء بعلم الطب عما كان عليه عند أسلافهم في الجاهلية وعصر النبوة، من حيث ظهور المؤلفات الطبية والعلاجية والتي تحوي عددا كبيرا من الأمراض وكيفية مداواتها.[3]

[1]- عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورانداتها المسلمات ، ص24.
[2]- المرجع نفسه، ص 24.
[3]- ينظر:الأسس الابتسمولوجية لتاريخ الطب العربي، ص164.

المبحث الثالث: الطب في العصر العباسي

1- الطب في العصر العباسي:

ارتفع مستوى الطب في زمن الدولة العباسية ارتفاعا ملحوظا ضمن الحركة العلمية المشهورة في أيامهم، وذلك بفضل تشجيع ورعاية الخلفاء للعالم والعلماء، إذ بلغت الترجمة في هذا العصر شأنا عظيما منذ خلافة "أبي جعفر المنصور" كما اشتهر العصر العباسي بدخول الآثار الفكرية اليونانية إذ اقترب الطب في البلاد الإسلامية من الطب اليوناني كمدرسة جنديسابور في فارس الذي نزح إليها النساطرة المسيحيون، وكان هناك صلة وثيقة بينها وبين بغداد.[1]

وأشهر وأعظم الأطباء الذين ظهروا وبرعوا في أيام العباسيين "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي" طبيب المسلمين بغير مدافع، فقد ظهر الرازي كأحسن الأطباء الإكلينيكيين وألّف كتاب أسرار الحكمة الذي يعتبر المرجع الإكلينيكي لأوربا.

ونظرا لمكانته المرموقة على مستوى تاريخ العالم العربي والعالمي خصصناه بالدراسة كنموذج للطب في الحضارة العربية الإسلامية.[2]

إلى جانب الرازي ظهر كذلك "ابن سينا" إذ يعتبر الكتاب الذي ألفه "القانون في الطب" الكتاب المعتمد في مدارس أوربا الطبية لمدة خمسمائة عام.[3]

---

[1]- إسحاق رباح، سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ص196.

[2]- محمد مؤنس أحمد عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، سنة 1997م-1417هـ، ص25.

[3]- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ص141.

وأسس المأمون كلية للترجمة ودار الحكمة في بغداد وفي هذا الوقت ظهرت دكاكين الصيدلة وظهر علم العقاقير ووضع 931 سؤالا للإجابة عنها ليجتاز الطالب الامتحان ويصبح طبيبا.[1]

2- أطباء ومترجمو العصر العباسي:

لقد تميز العصر العباسي بأطباء كثيرين برعوا في التطبيب بالإضافة إلى إسهام بعضهم في حركة نقل التراث الطبي اليوناني إلى اللغة العربية ومن أشهر هؤلاء:

1/ جورجيس بن بختيشوع:

كان مشهورا بالفضل جيد التصرف في المداواة، عالي الهمة، سعيد الجد، حظيا عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم.[2]

يروى أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لما أصيب سنة 148هـ/765م بمرض في معدته، وانقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، أمر الخليفة حاجبه وهو الربيع بن يونس بجمع أطباء البلاط لمشاورتهم، وقال لهم: من تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا؟ فقالوا: ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جند بيسابور فإنه ماهر في الطب وله مصنفات جليلة.[3]

وبالفعل أمر أبو جعفر المنصور بإحضار جورجيس الذي أطاع أمر الخليفة مُكرَها، وغادر جنديسابور إلى بغداد بعد أن أوصى ابنه بختيشوع بأمر المستشفى ومصطحبا معه اثنين

[1]- إسلام المازني، تاريخ الطب والأطباء المسلمين، دار العرب، دمشق، دط، سنة 2010، ص51.
[2]- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ص142.
[3]- أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، 2009، ص59.

من تلاميذه، ولما وصل جورجيس إلى البلاط رحب به المنصور ترحيبا حارا ونجح الطبيب في علاج الخليفة الذي تمسك به ومنعه من العودة إلى بلده.

وجورجيس هذا هو أول من ابتدأ في نقل كتب الطب والصيدلة إلى اللسان العربي وفي عهد المنصور وفي عام 152هـ/769م مرض جورجيس مرضا شديدا، فطلب من الخليفة أن يأذن له بالعودة إلى جنديسابور، فأذن له وأمر بدفع عشرة آلاف دينار إليه مكافأة على خدماته، وهكذا عاد جورجيس إلى بلده بعد أن أمضى أربع سنوات في خدمة الخليفة ذاع فيها صيته.[1]

2/ *بختيشوع بن جورجيس:*

لقد مهدت خدمة جورجيس في البلاط العباسي الطريق لأبنائه وأحفاده، بل ولعلماء جنديسابور عامة للهجرة إلى بغداد، فبعد وفاة المنصور ولي المهدي الخلافة، عُيِّن له طبيبا خاصا هو أبو قريش عيسى، والذي صار بعد ذلك طبيب الخليفة "موسى الهادي" إلا أن أبا قريش فشل في معالجة سيده حين مرض، فاستقدم له بختيشوع بن جورجيس من جند يسابور، إلا أن الخليفة موسى الهادي توفي قبل وصول بختيشوع بساعات، فغادر بغداد إلى جنديسابور حتى لا تثار المشاكل بينه وبين أبي قريش.[2]

وجاء بعد موسى الهادي شقيقه هارون الرشيد سنة 170هـ/789م وكان مصابا على ما يبدو بـ"الشقيقة" وهو مرض يتميز بشدة الصداع في شق واحد من الرأس واضطراب النظر حتى لتكاد نوباته القوية أن تذهب بالبصر، ولم يفلح "أبو قريش" ولا غيره من أطباء الحاشية من إبرائه منه، فاستدعى يحيى بن خالد بن برمك، في سنة 171هـ/787م بختيشوع بن جورجيس الذي استطاع أن يكتسب ثقة الخليفة بعلمه وحسن تصرفه، وصار طبيبه الخاص

[1]- المرجع السابق، ص60.
[2]- المرجع نفسه، ص60.

ورئيسا لأطباء بغداد بأسرهم، وبعد وفاته عمل ابنه جبرائيل الذي تفوق في ميدان الطب وممارسته في خدمة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد.[1]

و تظهر براعة آل بختيشوع في عدة مجالات تتصل بالطب، ففيما يتعلق أولا بممارسة المهنة فإنها كانت تنقسم إلى شقين رئيسيين: الأول وقائي يتمثل في الوقاية من الأمراض وتجنبها وترسيخ القواعد الصحية عند تبادل الطعام، أما إذا أصيب الخليفة بمرض فيتنقل الخليفة إلى الشق الثاني وهو العلاج.

وقد اعتاد آل بختيشوع على وصف العقاقير المتداولة في ذلك العصر، سواء كانت أعشاب طبية، أو عقاقير حيوانية ومعدنية على شكل أدوية مفردة أو مركبة.

وإذا لم تُجدِ العقاقير نفعا، كان يتم إجراء بعض أنواع الجراحة مثل: الحجامة، كما استخدم الأطباء من آل بختيشوع العلاج النفسي في علاج بعض الأمراض ذات المنشأ العصبي أو النفسي.[2]

هذا فيما يتعلق بالمجال الأول، أما المجال الثاني في مجالات الطب الذي عمل به آل بختيشوع، فهو ترجمة المؤلفات ولاسيما الطبية منها، من اليونانية أو السريانية إلى العربية، إلا أن المؤلفات التي ترجموها كانت قليلة، ويبدو أن السبب في ذلك هو عدم توافر الوقت الكافي للترجمة لاختصاصهم بمرافقة الخلفاء فضلا عن التزام بعضهم في العمل بالمستشفيات أو القيام بتأليف كتاب تلبية لرغبة أولي الأمر.[3]

وبالنسبة للمجال الثالث فقد كتب عدد منهم مؤلفات طبية، حيث ألف جورجيس " كناشه المشهور" وقد كتبه بالسريانية، وفي هذا الكناش معلومات تطبيقية هامة في قروح المعدة

[1]- قصي حسين، الحضارة العربية، العصر العباسي، دار البحار بيروت، ط1، د.ت، ص506.
[2]- إسلام المازني، تاريخ الطب والأطباء المسلمين، ص20.
[3]- المرجع نفسه، ص21.

والأمعاء وأمراض الرحم وعسر الولادة، وقد ألف بختيشوع بن جورجيس كتابين، الأول تحت عنوان "مختصر الطب" يبحث فيه عن الأورام البلغمية والسل ومضاعفاته واضطرابات المعدة، وأوجاع الظهر وأخذ الرازي الكثير من هذه المعلومات وأدخلها في كتابه "الحاوي في الطب" والثاني بعنوان "التذكرة" الذي ألفه لابنه جبرائيل.[1]

والمجال الرابع من مجالات الطب فقد تولى فيه "بختيشوع بن جورجيس" منصب "رئيس الأطباء في بغداد" وتولى كذلك "جبرائيل" بن بختيشوع رئاسة المستشفى العضدي، في بغداد بأمر من عضد الدولة وقد عمل في هذا المستشفى عدد من مشاهير الأطباء من بينهم "أبو بكر بن محمد بن زكريا الرازي".[2]

مما تقدم يتبين لنا أن آل بختيشوع يمثلون مرحلة مهمة من مراحل تطور الطب العربي في الحضارة العربية الإسلامية، وهي المرحلة التي مهدت لانطلاق حركة الترجمة بقوة كبيرة، وظهور الأطباء من العرب والمسلمين فمن أشهر المترجمين في هذا العصر:

1/ *يوحنا بن ماسويه:*

كان مدرسا للطب في مدرسة جنديسابور قبل أن ينتقل إلى بغداد، حيث اشتهر أمره وأصبح طبيبا فاضلا، عالما مصنفا، خدم الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، ويعد يوحنا أول من كتب في أمراض العين في كتابه "دغل العين" ويوحنا أول من بحث في تشريح الحيوانات، فقام بتشريح أجساد القردة، بوصفها أقرب الحيوانات في تركيبها الفيسيولجية إلى الإنسان وقد وضع يوحنا ماسويه مصنفات عديدة تدل على تضلعه في الطب حيث بلغ مجموع

[1]- محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، ص43.
[2]- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ص23.

مؤلفاته حوالي ثمانية وعشرين كتابا، ومن أهم مؤلفاته: كتاب الحميات وكتاب الأغذية، وكتاب الأدوية المسهلة، وكتاب الفصد والحجامة...[1]

2/ *حنين بن إسحاق العبادي:*

وهو ممن ضرب بسهم وافر في خدمة الطب في العصر العباسي، فهو شخصية شهيرة، ملأت أسماع الزمان في ذلك العصر، الذي نشأ مولعا بصناعة الطب كأبيه، سمع في شبابه دروس "يوحنا بن ماسويه" في جنديسابور.[2]

وترى بعض المصادر أنه تتلمذ على يد "يوحنا بن ماسويه" في بغداد، ثم اتجه إلى بلاد الإغريق حيث تعلم لغتهم، ومكث هناك مدة، حصل فيها على ثقافة عالية وعاد حنين ماهرا في اللغات، وأضحى حجة الطب عامة و طب العيون خاصة، ولم يكن طب العيون هو الفرع الوحيد الذي نال اهتمام حنين في المجالين العلمي والنظري، بل ما من قسم هذا العلم إلا وترك فيه أثرا نستدل من خلاله على ما وصل إليه من خبرة وكفاءة في هذا المجال، ولم يترك حنين بن إسحاق مجالا في الطب إلا وسلكه وصنف فيه الكثير من المؤلفات ومن هذه المجالات التي سلكها حنين، مجال الطب البيطري، ووضع في الطب عدة كتب منها: كتاب المسائل في العين، وكتاب العشر مقالات في الطب.[3]

3/ *أبو الحسن ثابت بن قرة:*

هو من ألمع علماء القرن الثالث الهجري الذي تعددت نواحي عبقريتهم، وتركوا آثارا جمة في بعض العلوم، حيث برع في المجال الطبي وله فيه مؤلفات قيمة، ولم يكن في زمنه من

[1]- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، د.ت، المجلد2،ص420.
[2]أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، ص71.
[3]- محمد مؤنس أحمد عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، ص43.

يماثله في هذه الصناعة، ومن أهم هذه المؤلفات مسائله الطبية، كتاب في النبض، جوامع كتاب الأمراض الحادة، كتاب سوء المزاج المختلف، رسالة في الجدري والحصبة.[1]

ولم يقتصر الأمر على العناية بالبيمارستانات بما فيها من المرضى، بل تطور الأمر إلى إرسال ما يعرف في العصر الحالي بالقوافل الطبية المتنقلة إلى المناطق التي تخلوا من الأطباء، كما امتدت عناية المسلمين بشؤون الطب والصحة العامة إلى المسجونين، فخصص عدد من الأطباء للسجون وعلاج نزلائها من الأمراض.[2]

وخلاصة ما تقدم أن بني العباس نهضوا بالعلوم نهضة عظيمة ودفعوا الترجمة دفعة قوية لا نظير لها بعنايتهم ومشاركتهم مما شد من همة العلماء والمشتغلين بالعلم وثبت من عزيمتهم، فازدهرت العلوم جميعها في الدولة الإسلامية ومن بينها علم الطب في المجتمع الإسلامي.[3]

المبحث الرابع: مآثر العرب الطبية وابتكاراتهم

لم يكتف العرب بما أخذوه من علم الطب وبما كان لديهم، وإنما قاموا بالدراسة والتجارب والتأليف، فتركوا مآثر وإنجازات مهمة في هذا الحقل نذكر منها:

1- اتباع المنهج العلمي التجريبي في الطب:

إن اتباع هذا المنهج يكون إما في التأليف أو البحث أو التطبيق والمقصود بالمنهج التجريبي في العلوم الطبية مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التي اهتدى إليها الأطباء العرب والمسلمون من خلال ممارستهم للمهنة.[4]

---

[1]- خالد حربي، الأسس الابستيمولوجية لتاريخ الطب العربي، ص60.
[2]- أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، ص76.
[3]- ينظر: العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، ص78.
[4]- إسحاق رباح سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون الطبعة2، سنة 1431هـ-2010م، ص201.

وينقسم الأطباء المسلمون من حيث اعتمادهم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، واستخدامهم أسلوب التشخيص، إضافة إلى منهج العلة والمعلول واختبار الأدوية إلى مجموعتين، الأولى: مجموعة الممارسين الذين اهتموا في المقام الأول بتشخيص المرض وعلاجه، معتمدين على المشاهدات والملاحظات وتأتي الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية. ويمثل هذه المجموعة "أبوبكر الرازي" وكان رئيس البيمارستان ببغداد في عهد الخليفة المعتضد.[1] أما الفريق الثاني فهو فريق المدرسين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لا غنى عنه وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذي درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لا غنى عنه وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذي دفعهم إلى تحصيل الطب بأسلوب منطقي، ولهذا أطلق عليهم "الفلاسفة الأطباء" ويمثلهم "ابن سينا" وكلا الفريقين اتبع المنهج العلمي التجريبي بصرف النظر عن كونه غاية أو وسيلة.[2]

ولقد أدرك هؤلاء الأطباء الطب السريري للتعرف على تاريخ المرض وتسجيل الملاحظات ونتائج الفحوص والمعاينة ومراقبة تغيراتها هي أمور لا يمكن الاستغناء عنها، وكان الرازي بارعا ودقيقا في دراسة الحالات المرضية، وجاء القسم الأكبر من كتابه الحاوي عبارة عن سجل دقيق لملاحظاته على مرضاه.[3]

2- التخصص في فروع الطب المختلفة:

يعد التخصص في الطب من أهم منجزات الحضارة الإسلامية، فقد وجد بين الأطباء في تلك الفترة متخصصون في علاج الأمراض الباطنية ويسمون "الطبائعيون" ومتخصصون في إجراء العمليات الجراحية ويسمون "الجرائحيون" وآخرون يتولون علاج العظام و تجبيرها،

[1]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عتبية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، سنة 2004م-1424هـ، المجلد1،ص383.
[2]- المرجع نفسه، ص383.
[3]- المرجع نفسه، ص384.

ويسمون "المجبرون" ما وجد من مارس طب العيون ويسمون "الكحالون" وكذلك طب الأسنان وطب النساء وطب الأطفال والطب النفسي والعقلي، وفيما يلي نقف عند أهم هذه التخصصات.[1]

- *طب العيون:*

تناول الأطباء أمراض العيون بكل عناية واهتمام حتى قيل "إن طب العيون من اختراع العرب" حيث بلغ هذا العلم ذروته بجهودهم التي ظلت الحجة الأولى خلال عصور طويلة، فلم يطاولهم في هذا الميدان لا اليونان من قبلهم ولا الآتين الذين عاصروهم أو أتوا من بعدهم.[2]

ولا شك في أن علماء العرب والمسلمين اعتمدوا على معلومات الإغريق (اليونان) في هذا العلم المهم، وقد ظهر أثر ذلك واضحا في مؤلفاتهم، ولكنهم توصلوا بتجاربهم الخاصة إلى تطورات جديدة، مما جعل هذا الفرع يتطور على أيديهم تطورا هائلا، وأثر مؤلفات هامة يأتي في مقدمتها كتاب "العشر مقالات في العين" الذي صنفه الطبيب والمترجم الكبير "حنين بن إسحاق العبادي البغدادي" وهذا الكتاب اكتسب شهرة واسعة في مجال الكحالة أي طب العيون بدليل أن المحتسب كان لا يسمح لأحد بممارسة هذه الصنعة قبل التأكد من معرفته بمضمون هذا الكتاب.[3]

وقد كان الرازي يرى أن الطبيب يحتاج في استدلال على الأعضاء الباطنة، والعلم بجواهرها، وأن تكون شوهدت بالتشريح، والعلم بمواصفها من البدن، والعلم بأفعالها وأعظامها وما تحتوي عليه، والعلم بفضولها التي تدفع عنها الباثولوجيا أي علم طبائع الأمراض، لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب، ولقد رفض الرازي نفسه أن تجرى له عملية جراحية

[1]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عتيبة، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ص 383-384.
[2]- حنان قرقوني، من العلوم عند المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1427هـ-2006م، ص171.
[3]- المرجع نفسه، ص171.

في عينيه عندما فقد بصره في أواخر أيامه، وذلك لأنه سأل الجراح عن عدد طبقات أنسجة العين، فلما اضطرب الطبيب وصمت قال له الرازي: إن من يجهل جواب هذا السؤال عليه ألا يمسك بأية آلة يعبث بها في عيني."[1]

ومن أطباء العيون المشهورين أيضا "يوحنا بن ماسويه" وهو أستاذ "حنين بن إسحاق" وله رسالة في مداواة العين بشكل منظم عرفت باسم "دغل العين" وهناك طبيب آخر يعتبر أيضا من أعظم أطباء المسلمين في طب العيون وهو "أبو القاسم عمار بن علي الموصلي" له كتاب المنتخب في علاج أمراض العين، ذكر فيه ست طرق (عمليات) السحب الماء من العين إحداها المص، وكان الأطباء العرب قد برعوا في سحب الماء الأزرق من العين.[2]

- *طب التشريح:*

بالرغم من أن مساهمة العرب في تطور علم التشريح لم تكن بصورة مباشرة وبنفس المستوى الذي ساهموا فيه بتطوير بقية أقسام الطب، لأسباب دينية أو إنسانية أو اجتماعية، إلا أنه مما لاشك فيه فإنهم ساهموا في تطوير هذا العلم بطريق غير مباشر، وهو طريق مهم وإيجابي ونافع، فقد صنفوا وجمعوا مؤلفات جالينوس الطبية ورتبوها ودرسوها وهمشوا عليها واختصروا قسما منها، بحيث أصبحت سهلة الفهم، كثيرة الوضوح.[3]

ويعد "الرازي" من أوائل الأطباء المسلمين الذين كتبوا في علم التشريح ومارسوه عن دراية واقتدار، وكان يؤكد على أن الطبيب يحتاج لمعرفة علل الأعضاء الباطنة إلى العلم بجواهرها أولا بأن تكون شوهدت بالتشريح، وإلى العلم بمواضعها من البدن، والعلم بأفعالها

[1]- محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلامية، ص594.
[2]- حنان قرقوني، من العلوم عند المسلمين، ص 173.
[3]- إسحاق رباح، سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ص202.

(الفسيولوجيا) وبما تحتوي عليه (المورفولوجيا) وبفضولها التي تدفع عنها (طبائع الأمراض) لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب.[1]

وجمع "ابن سينا" في كتابه القانون في الطب كل ما كتبه جالينوس عن التشريح في مؤلفات عديدة ومتفرقة، وجعل قراءتها سهلة وفهمها واضحا.[2]

ودرس "ابن النفيس" كتاب ابن سينا وعلّق عليه، فألف كتاب سماه " شرح تشريح القانون" وفطن ابن النفيس إلى وجود أوعية داخل عضلة القلب تغذيها مما يؤكد أن ابن النفيس كان قد مارس التشريح، فكان أول واصف للشريان الإكليلي وفروعه، كما اقترب ابن النفيس من علم التشريح المرضي (الباثولوجيا) عندما لاحظ أن تشريح العروق الصغار في الجلد يعسر في الأحياء لتألمهم، وفي الموتى الذين ماتوا بسبب أمراض تقلل الدم كالإسهال والدق والترف وأنه يسهل فيمن مات بالخنق.[3]

وبهذا يكون العرب قد أنقذوا مؤلفات جالينوس من التلف والضياع بترجمتها إلى العربية وشرحها، إذ أن النسخ اليونانية الأصلية فقدت جميعها ولم يبق منها غير النسخ العربية وهي: كتاب تشريح الأموات، كتاب تشريح الأحياء (الحيوانات)، كتاب علم أبقراط في التشريح، كتاب أرسطو طاليس في التشريح، وكتاب تشريح الرحم.[4]

- *طب الجراحة:*

لقد تقدم علم الجراحة وارتفع شأنه بين فروع الطب بفعل العديد من الأطباء العرب والمسلمين الذين برعوا في إجراء العمليات الجراحية بآلات وأدوات مناسبة، وأظهروا دراية فائقة في جراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان

[1]- علي بن عبد الله الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ،ط1، سنة 1418هـ-1998م، ص72.
[2]- المرجع نفسه، ص72.
[3]- ماهر عبد القادر محمد علي، الطب العربي، ص117.
[4]- إسحاق رباح، سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ص202.

والفتوق وتفتيت الحصاة داخل المثانة، واستئصال الأورام بأنواعها، واستخدموا الخيوط المصنفة من أمعاء الحيوانات في تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية.[1]

ومن أهم الأطباء في علم الجراحة "أبو الحسن علي بن ربن الطبري البغدادي" المتوفى سنة 236هـ/850م في كتابه "فردوس الحكمة" و "علي بن العباس" المعروف "بابن المجوسي" المتوفي سنة 374هـ/944م، الذي كتب فصلا خاصا عن الجراحة في كتابه "كامل الصناعة الطبية" وهذا الفصل تضمن وصفا لبعض الجراحات كعلاج الشريان العضدي الذي كان كثير الإصابة أثناء عملية الفصد وشق العجانى عن الحصاة.[2]

ويعد "أبو بكر الرازي" المتوفي سنة 320هـ/932م من الأوائل الذين أشاروا إلى الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة، وتضمن السفر الحادي والعشرين من كتابه "الحاوي" العديد من المعلومات عن جراحة أعضاء التناسل والمقعدة والعضل والأوتار والأربطة، وجراحات الدماغ وإزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها.[3]

أما التقدم الحقيقي في الجراحة فينسب بالدرجة الأولى إلى الطبيب القرطبي الأندلسي "أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي" المتوفي سنة 403هـ-1013م الذي أصبح رائدا في هذا العلم وفرق بينه وبين غيره من الموضوعات الطبية، وجعل منه فرعا أساسيا من فروع الطب.

- *طب الأطفال:*

بالرغم من أن قسما من أطباء العرب قد تخصص في فروع الطب كالجراحة و الكحالة والتجبير وأمراض النساء والأمراض العقلية وغيرها، إلا أنه لا يوجد من تخصص بطب الأطفال

[1]- طه عبد المقصور عبد الحميد ابو عتيبة، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ص388.
[2]- المرجع نفسه، ص388.
[3]- المرجع نفسه، ص389.

فقط، ولكن الأطباء العرب كانوا على معرفة كبيرة في هذا النوع من الطب بالإضافة إلى معارفهم الطبية الأخرى.

وظهر أطباء عديدون اشتغلوا وألفوا في هذا المجال، فمنهم من بحث في علم الأجنة والأمراض الناتجة من الوراثة، ومنهم من ألف كتابا عن المولودين لسبعة أشهر وأصول تربيتهم، ومنهم من بحث في شروط المرضعة وأصناف الحليب، ومنهم من بحث في علل الأطفال ومعالجتهم، وإذا كانت أوربا تفخر بأن أول مؤلف في طب الأطفال كان من قبل جامعة بادو، فإن معظم محتويات هذا المؤلف الصغير مقتبس من الأطباء العرب، كما اعترف بذلك "سنجر" بكتابه "مختصر تاريخ الطب".[1]

إلا أن أول من ألف في طب الأطفال كان أبا بكر الرازي وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغات العبرية واللاتينية والإيطالية.[2]

أما أقدم المخطوطات باللغة العربية في طب الأطفال فهي "لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري" الذي عاش بين سنة 320-366هـ/932-976م).

كذلك اهتم الأطباء العرب بأدوار حياة الطفل منذ ولادته، وقسموا حياته تقسيما لا يختلف كثيرا عما يقسمه علماء الطب المحدثون، مما يؤكد أنهم كانوا يعرفون المراحل التي يمر فيها الطفل، معرفة تستند على أصول صحيحة وطبية.[3]

[1]- محمود الحاج قاسم محمد، ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي (الرازي- ماسويه – ابن سينا) بغداد ، دط، سنة 2001م-1421هـ، ص23.
[2]- المرجع نفسه، ص24.
[3]- المرجع نفسه، ص ص 24-25.

3- بناء البيمارستانات (المستشفيات):

ويعرف بالمارستان أيضا، وهو لفظ فارسي، يتكون من البيمار وتعني المرض وستان و تعني الموضع، ومعناها موضع المرضى، وإن أول من أوجد بيمارستان هو "أبقراط" حيث خصص في بستان له موضعا للمرضى.[1]

فبناء البيمارستانات من أعظم إنجازات الحضارة الإسلامية فقد شهدت بغداد البداية الحقيقية لبناءها بكل تجهيزاتها، ثم تأثرت بقية المدن الإسلامية شرقا وغربا، والمسلمين هم الذين توسعوا في بنائها كمستشفيات كاملة متطورة أعدت للخدمات الصحية وتقديم العلاج للمرضى على مختلف حالاتهم، ويدرس فيها الطب نظريا وعمليا، بل تحولت إلى مستشفيات متخصصة في مجالات الطب المختلفة مزودة بأطباء وصيادلة مختصين وإداريين ومكتبات غنية بمراجعها.

فقد كانت بمثابة معاهد علمية لتدريس الطب بالمعنى الصحيح، ويفد إليه الطلاب من كل ناحية يتلقون فيها العلوم الطبية، ويستمعون إلى شرح الأساتذة في حلقات خاصة تعقد في هذه البيمارستانات، أو في قاعات المرضى لملاحظة ما يقوم به الأطباء من تشخيص الأمراض، وإعطاء الأدوية اللازمة وإجراء العمليات الجراحية.[2]

- أنواعها:

البيمارستان عند العرب نوعان:

1) البيمارستانات الثابتة: وهي ما كان بناؤها ثابتا لا يتنقل أو يتغير مكانه، مزودة بقاعات فسيحة وغرف للمرضى والأطباء، وغير ذلك من نظام دقيق يتقيد به

[1]- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، سنة 1981م، ص06.
[2]- محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلامية، ص591.

المرضى والمشرفون كالبيمارستان المنصوري والبيمارستان المؤيدي بالقاهرة، والبيمارستان النوري الكبير بدمشق.[1]

2) البيمارستانات المحمولة (المتنقلة): وهي المستشفى الذي يتنقل من مكان إلى آخر حسب الحاجة بالنسبة إلى مقتضيات العمل عند انتشار الأمراض والأوبئة أو بسبب الحروب أو في السجون.[2]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أمر بإنشاء مستشفى حربي متنقل أثناء معركة الخندق (5هـ/627م) وقد أصيب سعد بن معاذ في المعركة فجعله الرسول صلى الله عليه وسلم في الخيمة التي أنشأها في المسجد، وأعدت للمصابين من أثر الحرب، وكان رفيدة تداوي الجرحى وتسهر على المصابين.[3]

نجد مما تقدم أن علم الطب لم يقتصر على النقل والترجمة من الأمم الأخرى فقط، وإنما تقدم على يدهم تقدما هائلا نتيجة للمنهج العلمي الذي ساروا عليه، وما أضافوا إليه من ابتكارات علمية في التشريح والجراحة وطب العيون وطب الأطفال وغيرها.[4]

وخلاصة ما تقدم ذكره أن الطب في الحضارة العربية الإسلامية مر بمراحل أساسية:

1- الطب النبوي: وارتبط بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو طب صادر عن الوحي ومشكاة النبوة، في حين طب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب، في أكثر من حديث وصف النبي صلى الله عليه وسلم الدواء الشافي. فجمع في حديث واحد أصول الطب كلها وجعل من التقليل من الطعام والاكتفاء ببعضه قاعدة لحفظ صحة الإنسان ورد أصل كل مرض إلى التخم.

---

[1]- المرجع السابق، ص591.
[2]- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص192.
[3]- المرجع نفسه، ص192.
[4]- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ص204.

2- الطب الأموي: نلاحظ مدى اهتمام أطباء عصر بني أمية واجتهادهم من حيث ظهور المؤلفات الطبية والعلاجية والتي تحتوي على عدد كبير من الأمراض وكيفية مداواتها.

3- الطب في العصر العباسي: وفي هذه الفترة نهض أطباء بني العباس بالعلوم الطبية نهضة عظيمة مما شد من همة العلماء والمشتغلين بالعلم وثبت من عزيمتهم.

الفصل الثاني

أبو بكر الرازي نموذجا لعالم

المبحث الأول: ترجمة الرازي

المبحث الثاني: الأسس المعرفية التي انطلق منها الرازي

المبحث الثالث: مدرسة الرازي العلمية

المبحث الرابع: المنهج التجريبي عند الرازي

المبحث الخامس: إنجازات الرازي في الطب

المبحث السادس: عبقرية الرازي

المبحث الأول : ترجمة الرازي

ولد أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي في الري إحدى مدن إيران القديمة في شهر أغسطس سنة 251ه /865 م ،وتوفي في بغداد في الخامس من شعبان 26تشرين الأول (أكتوبر) سنة 313ه /925م.

ويعتبر الرازي حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي ،وكان يعده معاصروه طبيب المسلمين من غير منازع ، وهو في نظر المؤرخين أعظم أطباء القرون الوسطى ولقب بأبي الطب العربي وسماه ابن أصيبعة أوحد دهره ، وفريد عصره. [1]

كما كان متعدد الثقافة ، فهو الرازي الطبيب والرازي الكيميائي والرازي التجريبي والرازي العالم والرازي الفيلسوف .فمنذ صغره كان يميل إلى العلوم الأدبية ويقول الشعر وكان مولعا بالموسيقى والضرب على العود في صباه ومارس الصنعة ثم تحول إلى الكيمياء و لم يلبث أن نزع عن ذلك وأكب على النظر في الطب والفلسفة . تعلم في بغداد وتنقل في شبابه بين البلاد المختلفة رغبة في العلم ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى تلبية لدعوة الخليفة المنصور وذلك بعد أن تعلم من العلاج الاغريقي والفارسي والهندي و العربي وبعدها عاد إلى مدينة الري إذ تقلد منصب مدير بيمارستانها ، و لم يطل الزمان حتى أصبح الرازي طبيبا عظيم الشأن فاستحق أن يفوز بصداقة الملوك والأمراء والشعب. [2]

انتقل الرازي من بيمارستان الري الى مزاولة المهنة في البيمارستان العضدي والذي كان بمثابة أكبر مستشفى في العاصمة حينذاك ،وقد تمكن الرازي من الفوز بمنصب رئيس الأطباء في هذا المستشفى الكبير ، الامر الذي جعل الخليفة يفتح له أبواب قصره ليكون الطبيب الخاص به، و لم يمضي وقت طويل حتى أصبح الرازي دائع الصيت في طول البلاد وعرضها وطبقت

[1] -مصطفى فتحي –موسوعة أعلام الحضارة الاسلامية –دار أسامة للنشر والتوزيع –الاردن سنة 2001 ص61 .
[2] -خالد حربي –الرازي الطبيب وأثره في تاريخ العالم العربي –ملتقى الفكر –الاسكندرية الطبعة .1 سنة 1999 ،ص19 .

شهرته الآفاق وصار مرجعا نهائيا لكل الحالات المستعصية يسعى إليه كل من أراد الصوب من كل حدب وصوب ،مرضى كانوا أو طلابا .[1]

تتلمذ الرازي على يد أستاذه أبي الحسن علي بن ربن الطبري فاضل ثم أسلم فقد كان فاضلا في صناعة الطب ويقرأ علم الحكمة وينفرد بالطبيعيات وله كتاب في الطب يسمى "فردوس الحكمة" وتعلم منه الرازي العلم الكثير كما قرأ كتب الفلسفة على يد البلخي.[2]

وكان للرازي مجالس درس في كل منطقة يحل بها بنيت له خصيصا في المدارس المنتشرة آنذاك وكان جمهوره غفيرا يتجاوز أحيانا في جلسة الحوار ثلاثمائة طالب وكان يلقي دروسا في الوعظ ويجيب على الأسئلة التي تتناول الفلسفة وعلم الكلام والفقه و الأصول والطب والكيمياءوالنحو والادب والتفسير، ومن أسماء تلامذته المعروفين في تاريخ مختصر الدول لابن العبري وردت أسماء منها :أفضل الدين الخونجي، أثير الدين الأبهري، تاج الأرموني.[3] وفي كتاب الطبقات السبكي ورد :شمس الدين الخوني نجم الدين الكبري ،أبو بكر إبراهيم بن أبي بكر الاصفهاني ،أبو الفتح الموصلي، زكي بن الحسن البلقاني ،شمس الدين خسرو شاهي والسلطان شيهاب الدين[4] وفي عيون الأنباء لإبن أبي أصيبعة ورد: زين الدين الكشي، شهاب الدين النيسابوري ،محي الدين قاضي مرند، وفي مرآة الزمان لأبن الجوزي ورد: عبد الحميد خسرو شاهي.[5] هذه كانت أسماء التلاميذ المعروفين في عصره والذين كانوا يرتدون مجالسه معظمين له ومتأدبين على يديه بكل مهابة وإجلال.

---

[1]-خالد حربي الرازي الطبيب وأثره في تاريخ العلم العربي ص19 .
[2]-سميح غنيم –موسوعة مصطلحات الفكر العربي و الاسلامي الحديث و المعاصر ص62 .
[3]- سامح غنيم موسوعة والمصطلاحات للإمام فخر الدين الرازي ص 611.
[4]- المصدر نفسه ص 612.
[5]- المصدر نفسه ص 612.

ألف الرازي كتبا قيمة جدا في الطب ،وقد أحدث بعضها أثرا كبيرا في تقدمه وفي طريق المداواة إذ يذكر هو بنفسه أنه ألف ما يقارب مائتي كتاب ومقالة ورسالة ترجمت بعض هذه المؤلفات الى اللاتينية والعبرية والألمانية والفرنسية والانجليزية، وغدت منهلا لطلاب العلم في أوربا منذ القرن الثاني عشر هجري ،وكذلك انتشرت في بلاد العرب و المسلمين شرقا وغربا ووصل إلى الأندلس فقال عنها الزهراوي "إنها مراجع لا يمكن الاستغناء عنها ".[1]

في الطب :

1-الحاوي في الطب يتألف من أربعة وعشرين قسما أو كتاب.

2-الجامع الكبير.

3- المنصوري قدمه للأمير منصور بن يسحاق في الري.

4-الطب الروحاني أو طب النفوس .

5-تقاسيم العلل المشجرة أو التقسيم والتشجير .

6-رسالة الجدري والحصبة .

7-الشكوك على جالينوس .

8-طب الفقراء .

9-محنة الطبيب.

10-ما الفارق :يتضمن مشاكل التفريق بين الأمراض من الرأس حتى القدم.

11-برء الساعة في طريقة معالجة العلل التي تبرأ في الساعة.

[1]-أحمدعلي الملا أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوربية –دار الفكر دمشق -1979 م-ص139.

12-تجارب البيمارستانات .

13-المرشد أو الفصول في الطب .[1]

في الكيمياء :

14-رسالة إلى الكندي :جوابا كتابته عن بطلان السيمياء أو الكيمياء.

15-سر الأسرار .

16-المدخل التعليمي في الكيمياء .

17-كتاب في يقين الكيمياء.[2]

في الطبيعيات و الفيزياء والرياضيات والفلك

18-كتاب في الحركة .

19-الأفكار الخاطئة في الفيزياء .

20-كيفية الأبصار.

21-كتاب في أن "للأرض قطبين تدور حولهما "ذكره لوكلير .

22-في علة تحرك الفلك على استدارة،وهو شرح لكروية الأرض .[3]

-في الفلسفة والإلهيات :

23-كتاب في الفلسفة القديمة .

---

[1]-موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين دار الجيل -بيروت -ط1 1427ه-2006م-مجلد10-حرف الراء -ص29 .
[2]-المصدر نفسه ص29 .
[3]المصدر نفسه -ص611 .

24-كتاب المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات .[1]

المبحث الثاني: الأسس المعرفية التي انطلق منها الرازي:

إن مرحلة الابتكار والإبداع لدى الأطباء المسلمين لم تولد فجأة، بل إنها قد تأثرت بما قبلها من معرفة طبية كانت موجودة لدى الحضارات الأخرى لا سيما الحضارة اليونانية، والتي أخذت بدورها من الحضارة المصرية القديمة، والرازي واحد من هؤلاء الأطباء المسلمين الذي أخذ عن الطب اليوناني والمصري المعرفة الطبية إذا أن مصر واليونان قد شهدتا نهضة طبية إشتملت على معرفتهم لكثير من فنون الطب والتطبيب[2].

ولعل أهم الأسس المعرفية الطبية التي انطلق منها الرازي:

نظرية الأخلاط:

يرى الرازي في هذه النظرية أن الأشياء الطبية، أول العوامل الطبيعية المؤثرة في حدوث المرض تنقسم إلى سبعة أقسام:

إستقصات ،ومزاجات، وأخلاط، وأعضاء، وقوى ، وأرواح، وأفعال، والاستقصات

أربعة : نار حارة يابسة، وهواء حار رطب وماء بارد رطب ،وأرض باردة يابسة ،والأصول هذه هي التي توجد حواسنا ومنها خلق الله جميع الخلق، والبهائم وإليها ترجع إذا إنحلت تراكيبها[3].

[1]-المصدر السابق، ص611 .
[2] خالد حربي- نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الأخذ- دار الوفاء- الإسكندرية- ط1-2006-ص 76.
[3] الرازي- المنصوري في الطب- معهد المخطوطات العربية- الكويت- دط- 1987 ص 29.

والمزاجات تسعة واحد منها مستوى، وهو المزاج المعتدل وثمانية غير مستوية، وهي المزاجات الخارجة عن الاعتدال أربعة منها مفردة: حار، بارد، رطب، يابس، وأربعة مؤلفة: حار يابس، وحار رطب ،وبارد يابس، وبارد رطب.

والأخلاط (الأمشاج) أربعة: دم، بلغم، مرة صفراء، ومرة سوداء، والبلغم منه حلو، وهو حار رطب، ومنه مسيخ وهو بارد رطب، ومنه نوع خامس زجاجي، وهو أبرد أنواع البلغم وأرطبها، ولا يستحيل إلى الدم[1].

وكل خلط يخرج من الفم بالقيئ أو بالبصاق أو ينحدر من الرأس أو يخرج من الفم بالتنخع ،ولا طعم له في طبيعته يسمى بلغما و البلغم يتولد في البدن من أطعمة باردة رطبة في الهضم الأول الكائن في المعدة، وهو يتولد من غذاء يستحكم إنهضامه ولذلك لم تحدث الطبيعة له وعاء يقبله كالعروق والأوردة التي هي وعاء للدم، وكالمرارة التي هي وعاء للصفراء و كالطحال الذي هو وعاء للسوداء .فما صار منه إلى الكبد وجداوله استحال وصار دما ، وما بقي في الأمعاء و لم ينحدر إلى الكبد اندفع من الأمعاء وإنغسل بالمرة الصفراء المنقية للأمعاء الغاسلة لها بحدتها وحرافتها . والمرة الصفراء منها ما يتولد في الكبد ومنها ما يتولد في المعدة .[2]

أما المتولدة في المعدة فهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : يسمى الكراثى ، لان خضرته تشبه الكراث .

والنوع الثاني: يسمى الصدى أو الزنجاري لان لونه شبيه بلون الزنجار .

والنوع الثالث :يسمى النيليلج .[3]

---

[1] المصدر السابق ص 30.
[2] المصدر نفسه-ص31
[3] -المصدر نفسه ص32 .

والمرة السوداء نوعان : المرة السوداء الطبيعية، وهي عكرة الدم ويسميها الحكماء الخلط الأسود ،ولا يسمونها السوداء ليفصلوا ما بين المرة السوداء الطبيعية و المرة السوداء الخارجة عن الطبيعة .

والنوع الثاني : من المرة السوداء خارجة عن الطبيعة ويكون من الاحتراق، وهذا النوع لا يخلو أن يكون إما من احتراق الخلط المسمى الخلط الأسود الذي هو عكر الدم ،وإما من احتراق الخلط المسمى الخلط الأسود الذي هو عكر الدم ، وإما من احتراق المرة الصفراء بإفراط الحرارة عليها وإما من احتراق الدم إذا فسد .[1]

فكانت هذه النظرية وغيرها من التراث المعرفي الطبي الذي اطلع عليه الرازي فضلاعن تتلمذه على أستاذه أبي الحسن علي بن ربن الطبري بمثابة الأسس التي بنى عليها معرفته الطبية إلا أن الرازي لم يسلم بهذه الآراء ،وتلك النظريات إلابعد النقد و التمحيص والإختبار .

وإذا قبل أيا منها فلا يدونها كما هي بل يكتفي بالخلاصة فقط .وذلك لكي تكون بمثابة مقدمات يحاول الوصول منها إلى معرفة جديدة .[2]

ويعتبر كتاب الحاوي خير دليل على أنه كان لا يأخذ بأقوال السابقين أو المحدثين من الكتب على علتها ،وقد أكد على ضرورة تحكيم آذان العقل الذي يحكم ولا يحكم ويعقل ويقود ولا يقاد وعليه أخذ بطريقة المتابعة والملاحظة و التدوين بصورة دقيقة عند الممارسة وطبق النظريات العلمية استنادا إلى التجارب ورفض ما لا ينطبق منها على النتائج الصحيحة .[3]

وبذلك يمكن القول أن الرازي لم يعمل بقاعدة سلطة الكتابات القديمة بل اتخذ من نفسه موقف المتلقي السلبي الذي يطالع ويحلل ويكتشف مواضع الأخطاء و الغموض والتناقضات

[1]-خالد حربي -نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الأخر ص82 .
1المرجع نفسه-ص84.
[3]-المرجع نفسه ص84.

والاتساق، مما يجعله يصحح ويضيف و يبتكر ،وينظر لخبرة علمية جديدة قوامها التواصل العلمي المبني على النقد بغرض إظهار الحقيقة. [1]

المبحث الثالث : مدرسة الرازي العلمية

عرف عصر الرازي نهضة علمية تمظهرت في النقل والترجمة والتنقيح و التعليم والتأليف و الابتكار وانتشار مجالس التعليم في معظم أرجاء الإمبراطورية الإسلامية و مما ساعد على ازدهار هذه الحركة العلمية تشجيع الخلفاء و الوزراء على توفير كافة الإمكانات اللازمة لهذه المجالس التي كانت لها الأثر الهام في بيان النشاط العلمي عند الرازي. [2]

لقد شهدت البيمارستانات أكبر مجالس التعليم في عصر الرازي ، فلم تكن المستشفيات مقتصرة على علاج المرضى فحسب بل كان يدرس فيها الطب أيضا ،وفي حدائقها كانت تزرع الأعشاب الطبية و كانت مكتباتها تزدحم بمئات المجلدات ، كما كان الأطباء البارزون يقومون بإلقاء محاضراتهم الطبية في أروقتها ،والرازي من أكثر الأساتذة الذين اهتموا بتطبيق هذا النوع من التعليم ، وكان ذلك في بيمارستان العضدي وبيمارستان بغداد [3] كما حرص الرازي على تعليم طلابه حرصه على علاج كرضاه أو أشد .وقد اتبع في منهجه التعليمي طريقتين الأولى التعليم النظري والأخرى العملي.

1-طريقة التعليم النظري :

لقد اتبع الرازي طريقة أكاديمية في تعليم الطلاب ، فقد خصص لكل طالب مكانا خاصا به في الحلقة وذلك حسب التحاقه بها ، وكان التدريس النظري يتم بأسلوب نقاش علمي يجمع الطلبة على ثلاث حلقات أقربهم إليه أنضجهم علما وخبرة، ويليه الصنف الثاني ممن هم أقل

---

[1]-المرجع السابق، ص85.
[2]-ينظر_ نماذج لعلوم الحضارة و أثرها في الآخر،ص91.
[3] خالد حربي المرجع نفسه، ص91.

خبرة ثم الصنف الأخير الذي يضم المستجدين ،فيقرأ عليهم ،ويفسر لهم ،ويناقشهم ويصغي إلى حوارهم مجيبا على أسئلتهم وهذه الحلقة يبقى فيها المتعلم مدة ثلاث سنوات أي أنه يمضي سنة في كل حلقة وينتقل من حلقة إلى أخرى بحسب القدر الذي حصله من العلم.[1]

أما في تشخيص المرض إذا لم يستطيع التلميذ الوقوف على تشخيص سليم يتنقل إلى تلميذ آخر أكثر منه علما وخبرة، وإذا فشل جميع الطلاب في تشخيص المرض علاجه يتدخل الأستاذ بمناقشة الطلبة بفرض تعليمهم، وخلال هذه المناقشة ورده على أسئلتهم يتعمق الرازي للوصول إلى الأسباب المرضية التي تصيب كل عضو من الأعضاء، وبهذا يجعل من أسئلة الطالب حيز معين للأستاذ نفسه.

كما ينصح الرازي طلابه بكثرة قراءة كتب السابقين، وأن يعملوا لأنفسهم كتب يضمنوها ما غفلت عنه الكتب التي قرأوها، وتكون بمثابة مراجع تشمل الرجوع إليها عند الحاجة[2].

وبالرغم من اهتمام الرازي بالتجربة والمشاهدة إلا أنه لم يهمل مطالعة الكتب النظرية إذ يقول " متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل" وذلك لأنه "مهما عمر الإنسان فإنه لا يستطيع تحقيق ما شاهد بتعاقب الأزمة في مختلف بقاع الدنيا، فلابد له من أن يقوى بصيرته بعلم الآخرين"[3].

وقد اتبع الرازي في تعليم طلابه ترتيبا منطقيا، يصعب أن يخرج عما هو متبع الآن في التعامل مع المرضى، فعلى الطبيب أن يبدأ أولا بالتعرف على أعراض المرض، ثم يحاول أن يعرف سببه، وهل هو سبب واحد ، أمر أسباب منقسمة، ثم يقدم العلاج وفقا لما استقر عليه من الأسباب، ولا بد أن يكون مدركا لمدى استعداد الجسم لتقبل العلاج.

---

[1] المرجع السابق، ص 92.
[2] المرجع نفسه ص 92.
[3] المرجع نفسه ص 93.

وعليه أيضا أن يحترس من أن معالجات علة أخرى بسيطة قد تؤثر في علاج العلة الرئيسية. وعليه أن يعلم أنه إذا دامت الأسباب المحدثة للعلة، فأنها تنذر بأعراض أخرى أردأ من أعراضها[1].

ويمكن تفصيل هذه التعاليم من خلال كلام الرازي نفسه، إذ يقول لطلابه معلما إياهم: "أطلب في كل مرض هذه الرؤوس": ونطبق هذه التعاليم على مرض ذات الجنب:

أولا: يعرف المرض ذات الجنب فيقول:" إن ذات الجنب حمى حادة، مع وخز الأضلاع، وضيق في التنفس، وصلابة في البطن، وسعلة يابسة منذ أول الأمر..."

ثانيا: يحاول أن يعرف سبب ذات الجنب إذ يقول الرازي " أن تعلم أن سبب ذات الجنب ورم حار في ناحية الغشاء المستبطن الأضلاع".

ثالثا: يعرف هل ينقسم (ذات الجنب) إلى سببه أو نوعه أم لا؟ فمثال على ذلك أن ذات الجنب تنقسم إلى الخالصة وغير الخالصة، وينقسم سببها إلى موضع الورم، وفي العضل الداخل، والخارج من الأضلاع، وإذا كان الورم في العضل الخارج من الأضلاع كانت غير صحيحة، وإذا كانت في العضل الداخل كانت صحيحة[2].

رابعا: يطلب تفضل كل قسم من الآخر، ومثال على ذلك أن ضيق النفس والوخز والسعلة في الصحيحة أشد، وفي غير الصحيحة أخف ومع غير الصحيحة تنوء إلى الخارج، و لم يكن معه نفث، و إن كان أبطأ.

خامسا: يعرف علاج كل منها فالصحيحة تحتاج إلى أن تعالج نما يردرد ، وبالعضد، أما غير الصحيحة تعالج بالمحاجم والأدوية المقحة.

---

[1] المرجع السابق ص 93.
[2] الرازي- المرشد- مجلة معهد المخطوطات العربية- دط- 1961- ص 113.

سادسا: يعلم أن الأبدان أن الحارة المزاج المدمته للشراب التي تمكث أكثر دهرها في الهواء البارد، وتشرب من الماء البارد هي أشد استعداد لذات الجنب.

سابعا: يعلم أنه يحترس من ذات الجنب بإدامة الفصد والحمام وتدثيرا لرأس[1].

ثامنا: وأخيرا أنه دامت الأسباب المحدثة للشوصة، فأحدثت أعراضا ردية من أعراضها، فهي تنذر بكون الشوصة، إن لم تتلا حق بما ينبغي فإذا نظرنا في كل علة في هذه التعاليم الثمانية واستوفينا ما فيها، فقد أكملنا ما يحتاج إليه منها[2].

2- طريقة التعليم التطبيقي:

بالرغم من تأكيد الرازي على أهمية قراءة الكتب في تعلم صناعة الطب ، إلا أن ذلك غير كاف لإحكام هذه الصناعة، بل يحتاج إلى مزاولة المرض، لأن بهذين الجانبين- قراءة الكتب ومزاولة المرض- تتكامل الصناعة.

وقد رأينا سابقا أن الرازي كان يعقد دروسا لطلابه في البيمارستانات، وحول أسرة المرضى ، فيقول الرازي مشيرا إلى أهمية هذه الدروس بالنسبة لطالب الطب" ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازما للبيماستانات، ومواضع المرضى، كثيرا المداولة بأمورهم وأحوالهم، كثير التفقد ، ولا يتهاون بها[3].

فالطب علم يدرس في الكتب وتجارب وخبرات والرازي خير طبيب تجمع له علم السابقين والتجارب والخبرات، وقد أنعكس ذلك على طريقة تدريسه لتلاميذه حول سرير المريض شارحا لهم الحالات المرضية النادرة، فكان يشرح لطلابه كل حالة يفحصها ويسجل أسئلته ومشاهداته في صفحة خاصة مبتدأ باستجواب المريض، و الطلاب من حوله، يسأله عن اسمه

[1] المصدر السابق-ص 113.
[2] خالد حربي- الرازي في حضارة العرب- دار الثقافة العلمية- الإسكندرية ط1-2002-ص 25.
[3] المرجع نفسه ص 26.

وعمره وبلده ورحلاته وعما ألم به، واليوم الذي شعر فيه بالمرض، وموضع الألم والإعراض التي رافقته بالترتيب والتسلسل الزمني لها، كما يسأل المريض أيضا عن عائلته وأفرادها، وهل أنهم شعرو بنفس الأدوار التي يكابدها هو [1].

وينصح الرازي طلابه بحسن مساءلة العليل، ففي كثير من الأحيان لا يستطيع العليل أن يعبر عما يشعر به من مرض لأنه " ليس كل عليل يحسن أن يعبر عن نفسه، وربما كان بالعلة من الغموض ما لا يتهيأ للعليل، ولو كان عاقلا أن يحسن العبارة[2].

كما أدرك الرازي أهمية عامل الوقت في التدريب العملي على صناعة الطب، ويرى أن المتدرب كلما ابتدأ صغيرا كان أفضل يقول: " إن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة إذا قرنوا منذ الحداثة بدراسة الطب ومعالجة عدد وافر من الحوادث المرضية، واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض"[3].

وقد حرص الرازي على غرس القيم الأخلاقية في نفوس طلابه، فكان يوصيهم بأن يكون هدفهم هو معالجة مرضاهم أكثر من نيل أجورهم، وأن يعالجوا الفقراء بمثل الاهتمام والعناية التي يعالجون بها الأمراء والأغنياء، ويعملون على بث أمل الشفاء في نفوس مرضاهم حتى ولو كانوا أنفسهم لا يعتقدون الشفاء، لأن العامل النفسي مهم في الشفاء، كما كان الرازي يحفزهم ويشجعهم بأنه ليس من المستحيل أن يصير الواحد منهم أعظم الأطباء، أما عن امتحان الطلبة المتخرجين على الرازي، فكان يسألهم أولا في تشريح الجسم، فإذا فشلوا في الإجابة فلا يسألهم في الطب السريري، لأن فشلهم في هذا الموضوع يعني فشلهم مؤكد حتى ولو نجحوا في العلوم السريرية[4].

---

[1] المرجع السابق ص 26.
[2] المرجع نفسه ص 27.
[3] خالد حربي- الرازي الطبيب وأثره على تاريخ العلم العربي. ص 30.
[4] المرجع نفسه، ص 30.

بعد عرض هاتين النظريتين فإنه يتضح لنا بأن الرازي حرص على تعليم تلامذته ضرورة الجمع بين القسم النظري والمتمثل في مطالعة الكتب الطبية السابقة والنظريات الطبية المدونة في الكتب والقسم العلمي والمتمثل في الممارسات العملية التي تكتسب من مزاولة المرضى[1].

[1] ينظر. الرازي الطبيب وأثره في تاريخ العلم العربي ص 34.

المبحث الرابع: المنهج التجريبي عند الرازي

اهتم أطباء المسلمين بالمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، ويعد الرازي أول طبيب تجريبي، فقد كان تجري تجاربه على الحيوانات، فيجرع القردة الزئبق، تختبر تأثير الأدوية على الحيوانات، ويسجل جميع ما يشاهده عليها، كما يعتبر أول راجع طريقة المشاهدة التي تجري عليها اليوم[1].

لقد خلف لنا الرازي في هذا المجال آثارا مهمة تعد من الركائز الهامة في تاريخ هذا العلم، ولعل من أهم ما فيها هو وضع الرازي للمبادئ الأساسية لعلم السريريات البحتة، وعدم الوقوف عند المبادئ النظرية، فلقد تحرر الرازي من تأثير المذاهب والنظريات، و لم يسلم بها تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة لذلك، فقد كان يرى الرازي أن التجربة العملية أضخم الطرق للوصول للحقيقة العلمية[2].

وقد أدرك الرازي أن التجربة علم ذات أصول وفروع، وكان ينصح تلامذته بإحكام الأصول وقراءة الفروع، فإنه من غير هذين لا يصبح له شيء ولا يهتدي لأمر من الأمور في الصناعة، وطبق الرازي المنهج التجريبي بمراحله المعروفة: الملاحظة والتجربة، وفرض الفروض والتحقق منها[3].

فالملاحظة أو ما يسمى اليوم الملاحظة الوصفية نجد الرازي يدون للحالة المرضية، وتسمى في الطب الحديث الحالة السريرية (clinicaL case)، وهي السيرة المرضية لشخص معين والشكوى، ونتائج الفحص، وتطور الأعراض لنحو الأحسن أو نحو الأسوأ بسبب ظروف معينة تحيط بذلك الشخص، فإذا أصيب شخص ما بمرض من الأمراض، وأصيب شخص آخر بنفس المرض، وظهرت عليه الأعراض ذاتها، فالرازي يرى أنه لدينا حالتان، وليس حالة سريرية

[1]-عز الدين فراج فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية دار الفكر العربي- دطدت. ص 159.
[2] خالد حربي- الرازي الطبيب- ص 130.
[3] المرجع نفسه ص 131.

واحدة، لأنه لكل مريض منهما ظروفه الصحية والجسمية والنفسية الخاصة به والتي تؤدي إلى شدة المرض، أو نقصه، أو الشفاء منه، أو الهلاك به[1].

ومن أمثلة الملاحظة الوصفية التي استخدمها الرازي حين ميز بها أعراض مرض الجدري والحصبة فيقول: " يسبق ظهور الجدري حمى مستمرة تحدث وجعا في الظهر وأكلان في الأنف وقشعريرة أثناء النوم، والأعراض الهامة الدالة عليه هي: وجع في الظهر مع الحمى والألم اللاذع في الجسم كله، واحتقان وألم في الحلق وفي الصدر مصحوب بصعوبة في التنفس، وسعال وقلة راحة. والتهيج والغثيان والقلق أظهر في الحصبة منها في الجدري، على حين أن وجع الظهر أشد في الجدري منه في الحصبة".[2]

وجعل الرازي من التجربة معيارا للفصل بين الحق والباطل، فما تثبته التجربة حق ومقبول، ومالم تثبته فباطل ومرفوض حتى وإن كان قائله من فضائل العلماء، ويمكننا الوقوف على عدة أنواع من التجارب عند الرازي ولعل أهمها هو ما يعرف بالتجربة الموجهة ، فلم تكن التجربة عند الرازي تجربة إتفاقية كتلك التي كانت عند الأطباء اليونان بل كانت تجربة موجهة أي ترتبها فكرة مشتقة ومن أمثلة هذه التجربة.

المثال الأول: وذلك عندما أراد أن يتحقق من أثر القصد كعلاج لمرض السرسام وقسم مرضاه مجموعتين يعالج أحداها بالقصد ويتمنع عن قصد الأخر، ثم يراقب الأثر والنتيجة في كل أفراد المجموعتين، حتى ينتهي إلى حكم في قيمه العلاج فيقول في حديث عن حالة تنذر بمرض السرسام: "فمتى رأيت هذه العلامات فتقدم في الفصد، فإنني قد خلصت جماعة به وتركت متعمدا جماعة، استوي بذلك رأيا فسرسمو أكلهم[3].

[1] المرجع السابق ص 132.
[2] المرجع نفسه، ص132.
[3] خالد حربي- الرازي الطبيب – ص 159.

فالتجربة الموجهة أي التي ترتبها فكرة، تجربتها المجرب ليثبت قيمة فكرة تجريبية أو يتحقق من صحتها، ولقد أدرك الرازي وظيفة التجربة في التحقق من صحة الفروض[1].

المثال الثاني: سافر رجل نبيل في الصيف أياما ورجع وبه حمى مطبقة قوية الحرارة، فألزمنيه بعض الملوك، قلما لم يكن ذلك، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد، سقيته مقدار عشرة أرطال من الماء الصادق المبرد فخصر مكانه وانطفأ ما به ودرّ بوله. فهذه من غير شك حالة ضربة شمس عولجت بما يبرد أي يخفف.

أما الفروض فقد لعبت دورا هاما في منهج الرازي العلمي من حيث إن الفرض هو أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث ووظيفته الرئيسية تتمثل في آلة يوحي بتجارب أو ملاحظات جديدة. ومن الأمثلة على ذلك: أن عبد الله بن سواده حميات مخلطة تنوب مرة في ستة أيام، ومرة غب ومرة ربع ومرة كل يوم ويتقدمها ناقض يسير.

وكان يبول مرات كثيرة، فافترض الرازي أنه لا يخلوا أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعا، أو أن يكون به خراج في كلاه، فلم يلبث إلا مديدة حتى بال مدة، فكانت هذه الملاحظة بمثابة تأييد للفرض الثاني فاستبقاه ، واستبعد الفرض الأول، وشخص المرض على أنه التهاب في الكليتين، وقدم الرازي العلاج بناء على هذا التشخيص، فشفي المريض[2].

[1] ينظر الرازي الطبيب ص158.
[2] خالد حربي- نماذج العلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الأخر ص 110.

المبحث الخامس: إنجازات الرازي في الطب

خلف الرازي كتبا قيمة جدا في الطب، وقد أحدث بعضها أثرا كبيرا في تقدمه وفي طرق المداواة، وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود، وآرائه وبحوثه المبتكرة، وملاحظات تدل على النضج والنبوغ، كما تمتاز بالأمانة العلمية، إذ نسب كل شيء نقله إلى قائله وأرجعه إلى مصدره، وسنعرض فيما يلي أهم مؤلفاته:[1]

أ/ كتاب الحاوي:

يعتبر كتاب الحاوي (Continents) للرازي من أبرز وأوضح العلامات الدالة على النشاط العلمي الجماعي الذي مارسه صاحبه، والكتاب يعتبر من أهم المؤلفات في الطب العربي وأضخمها حجما، فهو موسوعة طبية لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازي في القرن الرابع هجري. وينقسم هذا الكتاب إلى اثني عشر قسما:

القسم الأول منه في علاج المرض.

القسم الثاني في حفظ الصحة.

القسم الثالث في الرئة والجبر والجراحات.

القسم الرابع في قوى الأدوية والأغذية وجميع ما يحتاج إليه من المواد في الطب.

القسم الخامس في الأدوية المركبة.

القسم السادس في صناعة الطب.

القسم السابع في صيدنة الطب، الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها.

[1]- المرجع السابق، ص113.

القسم الثامن في الأبدان.

القسم التاسع في الأوزان والمكاييل.

القسم العاشر في التشريح ومنافع الأعضاء.

القسم الحادي عشر في الأسباب الطبيعية من صناعة الطب.

القسم الثاني عشر في المدخل إلى صناعة الطب، مقالتان في الأولى "الأسماء الطبية" وفي الثانية "أوائل الطب" وهكذا خصص الرازي كل جزء من أجزاء كتابه الحاوي بطب عضو أو أكثر من أعضاء الإنسان.[1]

وقد اشتهر الحاوي بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التي تجاوز عددها المائة حالة، لقد اهتم الرازي بالملاحظة السريرية التي تتعلق بدراسة سير المرض مع العلاج المستعمل وتطور حالة المريض ونتيجة العلاج.

ومن أمثلة ملاحظاته السريرية ما جاء في "كتاب الحاوي" فقد تنبه الرازي إلى أثر العامل النفسي في صحة المريض، بل في أحداث الأمراض العضوية، فهو يرى أن سوء الهضم قد يكون لأسباب نفسانية وذلك في قوله "قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسانية."

ففي هذه الحالة قد يكون المرض جسمانيا والسبب نفسانيا، وهو ما يعالجه أحدث فروع الطب المسمى بالطب النفساني.[2]

فما يجري في نفس الإنسان من خواطر وما تعانيه من آلام يمكن في رأي الرازي أن يستشف من خلال الملامح الظاهرة كما في حالة سوء الهضم التي ذكرناها. وارتباط هذا الأمر

[1]- المرجع السابق، ص113.
[2]- خالد حربي، الرازي الطبيب، ص160.

بالمناهج يبين في الانتقال من المعلوم إلى المجهول أو الاستدلال من الظاهر على الباطن، يقول الرازي في هذه العبارة "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة ويرجيه بها وإن كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس" فهذا القول يدل على أن النفس هي التي لها الشأن فيما بينها وبين البدن من صلة، فعلى طبيب الجسم أن يكون أولا طبيبا للنفس ولذلك صنف الرازي في أمراض النفس كتابا سماه "الطب الروحاني" غرضه فيه إصلاح أخلاق النفس.[1]

ب/ رسالة الجدري والحصبة:

وهي من أشهر كتب الرازي التي أبدى فيها أصالة وابتكارا ،أشار في مقدمتها إلى أنه لا أحد من القدماء ولا المحدثين قال في هذا الموضوع قولا مستقصى ولا كافيا، فإن جالينوس وإن كان قد عرف الجدري إلا أنه لم يذكر له علاجا كافيا ولا سببا مقنعا، ويقول نيوبرجر (M. Neuberger) "هذه الرسالة تعد من خير المؤلفات العربية وأنها احتلت برغم صغرها مكانا ملحوظا في تاريخ الأوبئة فوق أنها أول رسالة وضعت عن مرض الجدري".

وللرازي مؤلفات طبية كثيرة نذكر منها **برء ساعة** الذي وضعه نتيجة لما وجده في مجلس أحد وزراء دولة بني العباس، وله كتاب **المنصوري وكتاب الحصى في الكلى والمثانة، كتاب دفع مضار الأغذية، كتاب إلى من لا يحضره طبيب، كتاب المرشد، كتاب الفاخر في الطب، كتاب الطب الملوكي.**[2]

بالإضافة إلى المؤلفات الطبية فله إسهامات طبية جليلة أفادت الإنسانية جمعاء:

فالرازي أول من قدم وصفا لمرض الجدي والحصبة.

[1]- المرجع السابق، ص161.
[2]- خالد حربي، نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر، ص 119.

وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب وتنسب إليه عملية خياطة الجروح البطنية بأوتار العود.[1]

ويعتبر الرازي أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته.

وهو أول من وصف عملية استخراج الماء من العيون واستعمل في علاج العيون حبات "الإسفيداج"، ونصح الرازي بضرورة بناء المستشفى بعيدا عن أماكن تعفن المواد العضوية، فالخليفة العباسي المعتضد عندما أراد بناء بيمارستانا استشار الرازي بخصوص المكان الذي يجب أن يبنى فيه، فكانت له طريقة مبتكرة إذ وضع قطعا صغيرة من اللحم الطازج في أنحاء مختلفة من العاصمة بغداد ثم لاحظ سرعة تعفن تلك القطع، وفي المكان الذي تعفنت فيه آخر قطعة من اللحم أشار بالموضع المناسب أو المكان الصحي لبناء البيمارستان.[2]

وقد كشف الرازي طرقا جديدة للعلاج، فهو أول من استعمل الأنابيب التي يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة، كما استطاع أن يميز بين التريف الشرياني والتريف الوريدي واستعمل الضغط بالإصبع وبالرباط في حالة التريف الشرياني.[3]

ولقد استخدم الرازي أدوية ما زال الطب الحديث يعول عليها حتى وقتنا الحاضر، فلقد استخدم الأفيون في حالات السعال الشديدة والجافة، فالأفيون يحتوي على العديد من القلويات أو شبه القلويات كالمورفين والكودائين والنوسكابين تستخدم في إيقاف السعال الجاف خاصة الكودائين.[4]

كما استخدم الرازي طريقة التبخير في العلاج، وذلك بوضع الزيوت المتطايرة في الماء الساخن لكي يستنشقه المريض، فتعمل الأبخرة المتصاعدة على توسيع القصبات الهوائية، وبالطبع

---

[1]- المرجع السابق، ص119.
[2]- المرجع نفسه، ص121.
[3]- المرجع نفسه، ص121.
[4]- المرجع نفسه، ص120.

تتوسع المجاري التنفسية لأنها تؤثر على عملية مرور الهواء دخولا وخروجا في حالتي الشهيق والزفير، وفي نفس الوقت فإن للزيوت المتطايرة تأثيرا مخدرا موضعيا، وهكذا تزيل الإزعاج الذي يحمى به المزكوم.[1]

ولقد أسهم الرازي في مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن منها: المراقبة المستمرة للمريض، والاختبار العلاجي وهو أن يعطي العليل علاجا مراقبا أثره، وموجها للتشخيص وفقا لهذا الأثر، ومنها أهمية ودقة استجواب المريض، فينبغي للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل ومن خارج، ثم يقضي بالأقوى والعناية بفحص المريض فحصا شاملا.[2]

ومن الإسهامات الأصيلة التي قدمها الرازي للطب هو تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض، ومثال ذلك **التفرقة بين القولنج ووجع الكلى، أو بين ذات الجنب وذات الرئة**، وذلك كما نرى في كتابه الحاوي "إذا كان الوجع في الجانب الأيسر نظن أنه في الكلى، وإذا كان يتأذى إلى سطح الجسم حتى يحس العليل بألم عند غمز المراق فقولنج..." أما تفرقته بين **داء الجنب وداء الرئة** فيقول الرازي: "وذلك بشدة ضيق النفس جدا حتى كأنه يختنق ولا يقدر أن يتنفس، أما ذات الجنب فإنه يقدر أن يتنفس نفسا عظيما ولو أن نفسه مختلف بحسب المادة والوجع في صدره."

وبالجملة قدم الرازي إسهامات طبية وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب واستفادت منها الإنسانية و لم يستطع أحد أن ينكرها.[3]

---

[1]- خالد حربي ،الرازي الطبيب ،ص163.
[2]- المرجع نفسه، 121.
[3]- خالد حربي نماذج لعلوم الحضارة وأثرها في الأخر ،ص122.

المبحث السادس: عبقرية الرازي الطبية

إن الرازي كانت له منزلة رفيعة في الطب تجلت في ابتكاره أشياء في الطب لم يسبقه إليها أحد من قبل، وشهدت له بالنبوغ والعبقرية وكسب ثقة الملوك والأمراء.

فقد دعي الرازي الطبيب العظيم ليعالج الأمير منصور الذي كان يشكو من أمراض روماتزمية في مفاصله، أعجزت كل من دعاه من الأطباء، ولما وصل إلى بخارى جرّب طرقا عديدة لعلاج الأمير دون أن ينجح، وقرر في الغد أن يجرب طريقة جديدة وطلب في المقابل خير حصان وخير بغل ووافق الأمير، وفي اليوم التالي ذهب الرازي بالأمير إلى حمام ساخن خارج المدينة وربط الحصان والبغل خارجه بعد أن أسرجهما وألجمهما، ثم دخل الحجرة وحده مع مريضه الذي وضعه تحت الدش الساخن عدة مرات، وسقاه جرعة كان قد أعدها ليسقيها له عندما يجيء الوقت الذي تنضج فيه الأخلاط التي في مفاصله.[1]

ثم خرج ولبس ثيابه ودخل ثانية وفي يده سكين، ووفق برهة يشتم الأمير قائلا: لقد أمرت أن أقيد وأن ألقى في القارب، متآمرا بذلك على حياتي، وإن لم أقتلك عقابا لك على هذا ليس اسمي محمد بن زكرياء، فغضب الأمير غضبا شديدا وثارت ثائرته، وهب واقفا على قدميه مدفوعا بالغضب من جهة والخوف من جهة أخرى، فأسرع الرازي بالفرار من الحمام وقصد إلى حيث كان غلامه ينتظره في الخارج مع الحصان والبغل، وركب حصانه وانطلق بأقصى سرعة، ولم يتوقف في هربه حتى عبر نهر أوكسس ووصل إلى مرو.[2]

وبعد وصوله إلى مرو كتب إلى الأمير قائلا:

---

[1]- رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص133.

[2]- المرجع نفسه، ص133.

أطال الله حياة الأمير متمتعا بالصحة والسلطان، لقد بذلت في علاجك أقصى ما لدي من قدرة وفقا لما تقتضيه مهنتي، ولكن نظرا لنقص الحرارة عندك كانت مدة العلاج ستطول إلى حد بعيد، لهذا عدلت عن العلاج الطويل إلى العلاج النفساني، ولما تعرضت الأخلاط الفاسدة للحرارة في الحمام الساخن إلى الحد الكافي آثرتك عامدا متعمدا حتى تزيد حرارتك الطبيعية، وبذلك اكتسبت أنت القوة ما يكفي لإذابة الأخلاط التي كانت قد لانت، لكن ليس من الخير أن نتقابل بعد الآن.

وبعد أن استرجع الأمير صحته وأصبح قادرا على الحركة كافأ الرازي بمنحه سلاحا وعبدا وأمة وجوادا، وأجرى عليه رزقا سنويا قدره ألف دينار ذهبا ومائتا حمل حمار من القمح.[1]

ومما يدل على عبقرية الرازي وحدة ذكائه أن غلاما جاء من بغداد للعلاج ينفث الدم، فراح أبو بكر الرازي يجسه ويفحصه ويسأله، ومن هذا الفحص والحوار عرف الرازي أن هذا النوع نزيف غير صادر من قرحة، أو من إصابة بالسل الرئوي، فطلب من المريض أن يحضر في الغد، وفي الغد بعد أن فكر في الأمر سأله الرازي عن المياه التي شربها في طريقه من بغداد إليه، فقال الصبي المريض أنه شرب من مياه راكدة في الطريق، على الفور أدرك الرازي أن في جوف هذا الصبي نوعا من الديدان، وفي اليوم التالي أحضر الرازي بعض الطحالب التي يكثر وجودها في المستنقعات وأمره بأن يملأ جوفه بها، وبعد أن ملأ جوفه بهذه الطحالب أمره الرازي أن يقذف ما في بطنه من طحالب، وأخذ كلما نزل جزء منها تأمل فيه، وأخيرا وجد الدودة أو العلقة التي تسببت في نزف الدماء، وبهذا التفكير لفت الرازي الأنظار إليه.[2]

كما كانت زيارة الرازي الطبيب لمريضه تنتهي عادة بالعزف والغناء، فقد كان يعزي بعض المرض بسماع الموسيقى والغناء، ولاحظ الرازي أن بعضهم ينسون آلامهم المبرحة إذ كانت الألحان والأنغام الحلوة تشدهم وتنسيهم آلامهم الشديدة الدائمة.

---

[1]- المرجع السابق، ص134.

[2]- شمس الله تسطع على الغرب، زيغريد هونكا، دار البعث قسنطينة الجزائر، 1406هـ/1986م، ص160.

فمن هنا بدأ تفكيره في الاستعمال الموسيقى في شفاء بعض الأمراض لا كلها. وأخذ الرازي يدرس هذا الموضوع وانتهى به الأمر إلى أن الموسيقى تصلح لبعض الأمراض ولا تصلح لأمراض أخرى.

ويرى الرازي أنه على الطبيب أن يقنع[1] مرضاه بأن حالتهم في تحسن، وأن يمنحهم الأمل في الشفاء، ولو كان غير واثق من نتيجة علاجه، فكما كان الجسد يخضع لتأثير الروح كذلك الطبيب يجب عليه أن يدخل أمل الشفاء إلى ذلك الجسد المريض مطاردا الموت وباعثا للحياة فالمريض مرضا نفسانيا والمريض مرضا عقلانيا يجب أن يعامل معاملة كلها إنسانية.[2]

[1]- رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ص132.
[2]- شمس الله تسطع على الغرب، زيغريدهونكا، ص162.

ملحق لأشهر الأطباء

العصر	أشهر الأطباء
الإسلامي	❋ الشفاء بنت عبد الله ❋ أم عطية الأنصارية
الأموي	❋ ابن آثال ❋ أبو الحكم الدمشقي ❋ زينب طبيبة بني أود
العباسي	❋ أبو بكر الرازي ❋ ابن سينا ❋ جورجيس بن بختيشوع

خاتمة

خاتمة

إن ما نشير إليه في هذه الخاتمة بعد السفر عبر عصور في رحاب الكلمة العذبة المعبرة هو ما عددناه نتائج استنبطناها من مجمل ما ورد في موضوع بحثنا ومن كل ذلك:

إن الطب هو علم يهتم بصحة الإنسان، ويبحث عن أسباب الأمراض وتقديم العلاج المناسب لكل مرض.

الطب في الحضارات القديمة بما فيها اليونان وبابل ومصر والهند والفرس وبلاد العرب ارتبط بالسحر والشعوذة والرقى والدجل فكانت المعالجة تتمثل في الرقى والتعاويذ.

حققت الحضارات العربية الإسلامية في مجال الطب إنجازات وابتكارات ما زال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى اليوم.

ارتبط الطب النبوي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو طب صادر عن الوحي.

نهض أطباء العصر الأموي والعباسي بالعلوم الطبية نهضة عظيمة من حيث ظهور المؤلفات الطبية والعلاجية والتي تحوي عددا كبيرا من الأمراض وكيفية مداواتها.

وباتخاذنا أبا بكر الرازي نموذجا للطب قادنا هذا البحث إلى النتائج التالية:

وجد الرازي نفسه أمام التراث الطبي المنقول عبر حركة الترجمة فتوافر عليه بالدراسة ودون كثيرا من نظرياته في كتبه، ولكن الرازي لم يسلم بهذه الآراء إلا بعد النقد والتمحيص والاختبار.

المنهج الذي اتبعه الرازي في الوصول إلى ما وصل إليه هو المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والاختبار، والذي لعب دورا أساسيا لديه، إذ به تحرر فكريا من تأثير المذاهب والنظريات السابقة عليه و لم يرض بالتسليم بما تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة بذلك.

جاء الرازي بآراء واكتشافات علمية وعلاجية أصيلة، عبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته العلمية إبان عصورها المزدهرة، فأثرت تأثيرا بالغا على الفكر العلمي في الغرب.

الرازي هو أول من وصف مرض الجدري والحصبة وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بـــ"القصاب" وتنسب إليه خياطة الجروح البطنية بأوتار العود.

أسهم الرازي في مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن منها: المراقبة المستمرة للمريض والاختبار العلاجي وهو يعطي العليل علاجا مراقبا أثره وموجها للتشخيص وفقا لهذا الأثر.

و في الأخير نسأل الله سبحانه و تعالى أن يرزقنا إخلاص النية ، وعلو الهمة ،والصدق في أداء المهمة ،وهو حسبنا ونعم الوكيل لقوله تعالى: ﴿**ربّنا عليك توكلنا و إليك أنبنا، وإليك المصير.**﴾

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

1- أبو الحسن أحمد بن فارس، بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة 1420هـ ، 1999ج2.

2- أبو الفضل جمال محمدي بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان ، ط3، سنة 1414هـ-1994م، مجلد1.

3- أبو علي الحسين بن علي ابن سينا، القانون في الطب، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، سنة 1999، ج1.

4- أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود، دار الجيل بيروت، لبنان، دط، سنة 1412هـ/1992م، مج1.

5- أحمد علي الملا أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوربية –دار الفكر دمشق -1979 م.

6- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 1981م.

7- أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، 2009.

8- أدم ميتز، الحضارة الإسلامية في ق4هـ، الدار التونسية للنشر، الجزء1، ط1، سنة 1405هـ/1986م.

9- إسحاق رباح سليمان أبو سويلم، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون الطبعة2، سنة 1431هـ-2010م.

10- إسلام المازني، تاريخ الطب والأطباء المسلمين، دار العرب، دمشق، دط، سنة 2010.

11- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط3، سنة 1429هـ-2008م.

قائمة المصادر والمراجع

12- بطرس البستاني، قطر المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1995.

13- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط3، سنة 1997.

14- الجميلي السيد، الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب، الجزائر، دط، د.ت.

15- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، د.ت.

16- حنان قرقوني، من العلوم عند المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1427هـ-2006م.

17- خالد حربي –الرازي الطبيب وأثره في تاريخ العالم العربي –ملتقى الفكر –الاسكندرية الطبعة .1 سنة 1999 .

18- خالد حربي- الرازي في حضارة العرب- دار الثقافة العلمية- الإسكندرية ط1- 2002.

19- خالد حربي- نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وآثرها في الأخد- دار الوفاء- الإسكندرية- ط1-2006.

20- خالد حربي، الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربي، دار الوفاء لد نيا الطباعة والنشر، ط1، سنة 2006.

21- الرازي- المرشد- مجلة معهد المخطوطات العربية- دط- 1961.

22- الرازي- المنصوري في الطب- معهد المخطوطات العربية- الكويت- دط- 1987 .

23- رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1415هـ-1995م.

24- رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993، ج2.

25- سميح غنيم، موسوعة المصطلحات للإمام فخر الدين الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، سنة 2001.

26- سميح غنيم، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002، ج1.

27- شمس الله تسطع على الغرب، زيغريد هونكا، دار البعث قسنطينة الجزائر، 1406هـ/1986م.

28- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة كروزية البخاري الجعفي، دار القصد للتراث، القاهرة، دط، سنة 1426هـ-2008م.

29- الطب النبوي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، د.ت.

30- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عتبية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، سنة 2004م-1424هـ.

31- عادل طه يونس، رواد العلم الحائزون لجائزة نوبل 1901-2006، في الطب والفيسيولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، سنة 1468هـ الموافق لـ2008م.

32- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425سنةهـ، 2004.

33- عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورائداته المسلمات، دار الشهاب، باتنة الجزائر، دط، د.ت.

34- عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورائداتها المسلمات، دار الشهاب الجزائر، دط.

35- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد بكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم، بيروت، ط1، سنة 1997.

36- عز الدين فراج فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية دار الفكر العربي- دط- دت.

37- علي بن عبد الله الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، الطبعة الأولى، سنة 1418هـ-1998م.

38- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 1430هـ، 2009م.

39- قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، دار البخار بيروت، ط1.

40- قصي حسين، الحضارة العربية، العصر العباسي، دار البحار بيروت، ط1، د.ت.

41- ماهر عبد القادر محمد علي، الطب العربي، رؤية ابستمولوجية، دار المعرفة الجامعية، دمشق، دط، سنة 1999م.

42- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا، دط- دت، ج1.

43- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م.

44- محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط7، سنة 1428هـ-2007م.

45- محمد مؤنس أحمد عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، سنة 1997م-1417هـ.

46- محمود الحاج قاسم محمد، ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي (الرازي- ماسويه – ابن سينا) بغداد ، دط، سنة 2001م-1421هـ.

47- محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلامية، القاهرة، دط، سنة 1426هـ-2005م.

48- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، ملتزم الطبع والنشر القاهرة، د.ت.

49- مصطفى فتحي –موسوعة أعلام الحضارة الاسلامية –دار أسامة للنشر والتوزيع – الاردن سنة 2001 .

50- موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين دار الجيل –بيروت –ط1 1427ه-2006م-مجلد10-حرف الراء.

الفهرس

الفهرس

مقدمة ..... أ

مدخل: حول الطب

المبحث الأول: مفهوم الطب 01

المبحث الثاني: نشأة الطب 06

الفصل الأول: الطب في الحضارة العربية الإسلامية

المبحث الأول: الطب في صدر الإسلام 23

المبحث الثاني: الطب في العصر الأموي 41

المبحث الثالث: الطب في العصر العباسي 46

المبحث الرابع: مآثر العرب الطبية وابتكاراتهم 52

الفصل الثاني: أبو بكر الرازي نموذجا لعلم الطب

المبحث الأول: ترجمة الرازي 62

المبحث الثاني: الأسس المعرفية التي انطلق منها الرازي 66

المبحث الثالث: مدرسة الرازي العلمية 69

المبحث الرابع: المنهج التجريبي عند الرازي 75

المبحث الخامس: إنجازات الرازي في الطب 78

المبحث السادس: عبقرية الرازي الطبية 83

ملحق لأشهر الأطباء 86

خاتـــمة 87

قائمة المصادر والمراجع 89